

٧٤

ملف المستقبل

أسروني بهذا!!!

روايات
مصرية للجيب



مبعوث الجحيم



www.helmelarab.net



١ - انتصار الشيطان ..

بدت (سلوى) ، زوجة الرائد (نور الدين محمود) ،
وعضو فريقه العلمى البوليسى ، شديدة التوتر ، فى تلك
الدقائق التى تلت منتصف الليل ، فى مستشفى (القاهرة)
المركزى ، أكبر مجمع طبيّ علاجى فى الشرق الأوسط كله ،
وانطلق توثرها ملحوظًا فى نبرات صوتها ، وهى تسأل رئيس
أقسام الطوارئ بالمستشفى ، فى عصبية :

— كيف يمكن أن يحدث هذا ؟!.. كيف يمكن أن يحدث
بالله عليكم ؟!.. لقد تركت ابنتى فى حالة جيدة نسبيًا ، وسط
مستشفى مركزى ضخم ، من المفروض أن تلقى فيه خير
رعاية ، فكيف يصيبها ما أصابها ؟!

كانت تهتف بهذه الكلمات ، ودموعها تسيل على
وجنتها ، ففمغم رئيس أقسام الطوارئ ، فى لهجة تجمع ما بين
الحزم والخبرة ، والعطف والإشفاق :

— صدّقينى ياسيدتى .. كلنا هنا نبحث عن جواب ذلك



سلوى



نور الدين



محمود



دمزى

السؤال . فلقد أكدت كل الفحوص والاختبارات ، التي أجريت لابنتك ، بعد حادث سيارتكما ، أنها في حال جيدة نسبيًا . ولقد استغرقت في نوم هادئ طبيعي ، وتوقع لها الجميع أن تستيقظ في خير حال . إلا أن مأسا شيطانًا قد أصابها بغتة ، فحوّلت إلى أنثى ثمر مفترسة ، غادرت حجرتها ، وأطاحت بكل من اعترض طريقها ، في قوة فوق مستوى البشر ، قبل أن تنهار على هذا النحو . وتسقط في تلك الغيوبة العميقة ، التي تجهل أسلوب انتزاعها منها ، على الرغم من كل تقدّمنا العلمي .

عقدت (سلوى) حاجبها في توثر ، وهي تغمغم في عصبية :

— أتريد مني أن أصدق حرفًا واحدًا من هذا ؟

هز كتفيه ، قائلاً في حزم :

— هذا شأنك .

ثم ضغط زرًا على سطح مكتبه ، فانفتحت في المكتب فجوة ، النقط منها قطعة معدنية غير منتظمة ، وضعها أمام (سلوى) ، مستطرذا :

— ولكن عليك أن تفسري لي ما هذا ؟

تطلعت في خيرة إلى القطعة المعدنية ، قبل أن تغمغم في توثر :

— ما هذا ؟

أشار إلى القطعة المعدنية ، قائلاً في جدّة ، جعلته يبدو كما لو أنه قد فقد سيطرته على أعصابه أخيرًا :

— لقد كان هذا الشيء ، منذ ساعة واحدة ، أو ما يزيد قليلاً ، مسدسًا ليزريًا حديثًا .

جعلتها عبارته تنبّه إلى شكل المعدن الملتوي ، إلا أن ذلك لم يزدّها سوى خيرة ، جعلتها تقول في عصبية متضاعفة :

— وما شأني بذلك ؟

هتف في حنق :

— ابنتك هي التي حوّلت المسدس الليزري ، إلى تلك الكومة السخيفة .

ثم ضمّ قبضته أمام وجهه ، مستطرذا في جدّة :

— وبقيضتها العارية .

اتسعت عينا (سلوى) ذهولًا ، وحذقت في الكومة المعدنية لحظة ، ثم عادت ترفع عينيها إلى رئيس الأقسام ، وكأنها تتمنى أن يكذب ما تراه ، ثم لم تلبث أن أدركت أنه جاد تمامًا ، فاغرورقت عيناها بالدموع ، وهي تتمتم :

— يا إلهي !! كيف حدث هذا ؟

تنهد في عمق ، ولان صوته مرّة أخرى ، وقد أدرك
استسلامها للأمر ، وقال في صوت يحمل رنة المشاركة :

— صدّقيني يا سيّدتي ، هذا السؤال يُقلّقي أكثر مما
يُقلّقت .. خاصّة وأن تحليل دم ابتك قد أشار إلى وجود
أجسام غريبة فيه ، نجهل كنهها تمامًا ، وترتفع إلى نسبة ستين
في المائة .

انهارت فوق المقعد المواجه لمكتبه ، وتعثّر صوتها في
حلقها ، قبل أن يفادده أجش متلعثمًا ، وهي تغمغم :

— أئمة أمل ؟

تنهد على نحو لا يشر بالخير أبدًا ، وهو يغمغم :

— إننا لانفقد الأمل أبدًا .

تركت العنان لدموعها ، التي تفجّرت من عينيها ، وسالت
على وجنتيها ، وهي تسترجع البداية ..

لقد بدأ الموقف كله بخلم ..

خلم رأى (نور) فيه جذّه الراحل ، يقوده إلى رسالة
عجيبة ، خلف إطار قديم ، في حجرة مكتبه ، في منزله الريفى
المنعزل ..

وأصرّ (نور) على اتباع الرسالة ، واصطحب (سلوى)
إلى المنزل الريفى المنعزل ، حيث وجد الرسالة في نفس الموضع
تمامًا ..

كانت رسالة تحوى نقشًا عجيبًا ، وسط قرص أعجب ،
وتحوى جملة عربية واحدة غامضة ، تقول : « النار وحدها
تغسل الشرور » .

وچار (نور) في فهم العبارة ، وفي إدراك كنه القرص
المنقوش ، المرسوم أعلاها ، حتى ذهب إلى الدكتور (محمد
حجازى) ، أستاذه ، وكبير الأطباء الشرعيين ، والمهتم بعلوم
ما وراء الطبيعة ..

وكانت دهشة الدكتور (حجازى) غارمة ، عندما رأى
القرص والنقوش ، واصطحب (نور) إلى مقعّله ، حيث كان
يُجرى الصفة التشريحية لمهندس متفحّر ، فوجد (نور) نفس
النقش محفورًا على صدر المهندس ، في موضع القلب تمامًا ..
وازداد الأمر غموضًا وزهية ..

وفي نفس الوقت ، كانت ملخمة الرعب تدور في منزل
(نور) ، وترتجف لها زوجته وابنته ..
صنابير المياه تُطلق دما ..

الأثاثات ترنح وتنهال ..

الحياة تدب في المقاعد والموقد ..

ملحمة شيطانية مُرعبة ، أصابتهما بفرع رهيب ، تسبب في
التهاية في حادث سيّارة ، كاد يُودي بهما ، لولا أن نجنا من
الموت بأعجوبة ..

واقف الدكتور (حجازي) (نور) ، بضرورة اللجوء
إلى وسيط روحاني شهير ، وخير فوق طبيعيات ، لعمل
جلسة من جلسات تحضير الأرواح ، لبحث سبب ما يحدث
حولهم ..

ومع الجلسة ، بدت ملحمة رُغب جديدة ..

انهار الدكتور (عبد الجليل) ، الوسيط الأشهر ، وبرزت
أيدي مخيفة من أرض المنزل ، تعصر كل من توقع به ، ثم هاجم
المنزل منع مخيف .. كيان أسود هائل ، ابتلع الدكتور
(عبد الجليل) ، هاجم (نور) والدكتور (حجازي) ،
حتى قتله (نور) ، فراح ينكمش ، وينكمش ، وينكمش ..
وهنا سقط (نور) والدكتور (حجازي) في كهف
غامض رهيب ، أسفل منزل (نور) ..
كهف لم يكن له وجود من قبل ..

كهف شيطاني ..

كل هذا قبل أن يعلم الجميع من هو عدوهم ..

وكان عدوًا رهيبًا هذه المرة ..

ورّد اسمه قديمًا في الأساطير ..

أساطير الرعب ..

كان عدوًا نصف بشري ، ونصف شيطان ..

كان ابنه ..

ابن الشيطان ..

في هذه المرة كان له حليف بشري

صحفي مُرثش ، يدعى (صفوت) ..

وفي تلك اللحظة ، كان الشيطان متصلاً إلى أقصى حد ..

سجن (نور) والدكتور (حجازي) في أحد كهوفه ..

ودفع بعضاً من دمهم في جسم (بشري) ، ابنة (نور)

(سلوى) ، بواسطة معاونه الشرطي (صفوت) (*) ..

لقد هزم الجميع في هذه الجولة ..

(*) يُقصد من التفاصيل راجع الجزء الأول (ابن الشيطان) ..

الغامرة رقم (٧٢) .

هزمهم حقاً ..

وانتصر هو على حفيد (أوزيريس) ..

على (نور) ..

آخر من يحمل دم الإله الفرعونى ..

وفى تلك المرحلة من الصراع ، انطلقت ضحكة عالية
مجلجلة ..

ضحكة الشيطان ..



٢ - الوهم القاتل ..

انتمت دموع اليأس فى عين الدكتور (حجازى) ، وهو
يدير عينيه فى أرجاء الكهف الضخم ، قبل أن يغمغم فى لهجة
أقرب إلى الانهيار :

— ما كان لنا أن نتحدى تلك القوى الرهيبة يا (نور) ..
لقد خططنا غرورنا البشرى .

غمغم (نور) فى خنق :

— رؤيتك يا سيدى .. إننا لم نتحطم بقدر ..

لروح الدكتور (حجازى) بيده فى يأس ، وهو يقول :

— كيف يا ولدى ؟ .. إننا داخل كهف غامض مجهول
مخيف ، لا ندرى كيف وصلنا إليه ، ولا كيف نشأ هو هنا ،
وما رأيناه الليلة يؤكد أننا نواجه قوة رهيبة ، لا قبل لنا بها ..
قوة يمكنها أن تحطم كل قوانين الطبيعة .

هب (نور) واقفاً ، وهو يقول فى حدة :

— محال يا دكتور (حجازى) .

سأله الطبيب الشرعى فى دهشة :

— ما المُحال يا ولدي ؟

هتف (نور) في الأفعال :

— الله (سبحانه وتعالى) وحده القادر على تحطيم قوانين الطبيعة .

تمم الدكتور (حجازي) :

— إنه مجرد مصطلح دارج يا ولدي ، فأنا أعلم مثلك أن ما أطلق عليه اسم تحطيم القوانين ، ما هو إلا قانون جديد كنا نجهله ، وبصر على أن يسفر عن وجهه .. في لحظة بعينها .

هتف (نور) في الأفعال متزايد :

— صدقت يا دكتور (حجازي) .. كل ما يبدو لنا خارقاً للمألوف ، هو في الواقع أمر منطقي ، ولكننا نجهل قواعد منطقته .. راجع معي مثلاً ما حدث ، وستجد عشرات اللامنطقيات .. لقد هاجمتنا تلك الأيدي المروعة ، وكادت تفك بنا جميعاً ، ثم فجأة تلاشى كل شيء ، وعاد بنا الزمان إلى نقطة البداية ، وبعدها هاجمنا كيان أسود مخيف ، وابتلع الدكتور (عبد الجليل) دفعة واحدة ، بكل جسده ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد انكمش إلى ما يقرب من حجم كرة صغيرة ، عندما قتلته ، فأين بالله عليك ذهبت جثة الدكتور (عبد الجليل) ؟

غمغم الدكتور (حجازي) في خيرة :

— ربّما كان ذلك الكيان المخيف ، يمتلك القدرة على امتصاص الغذاء ، بسرعة هائلة ، مثل ال..... قاطعه (نور) في جثة :

— مثل ماذا يا دكتور (حجازي) ؟ .. إنه لم يستغرق سوى لحظات ، ما بين ابتلاع جسد الدكتور (عبد الجليل) ، وتحوله إلى كرة صغيرة .. وهذا ينافي كل قواعد العلم والمنطق .

بتر عبارته بترًا جزئياً لتألق عيناه ، وهو يستطرد في حزم .
— ما لم ...

كانت تلك الكلمة الصغيرة ذات الأحرف الأربعة ، كافية لأن يقفز الدكتور (حجازي) من مكانه في طرفة ، هاتفاً :

— ما لم ماذا يا (نور) ؟ .. هل توصلت إلى شيء ؟ .. هل استتجت أمراً يتعلق بما يحدث ؟
أجابه (نور) وهو يحزم :

— ليس استنتاجاً يا دكتور (حجازي) وإنما هو تخمين .. إنني أظن أن كل ما يحدث لنا مجرد وهم .

تراجع الدكتور (حجازى) فى دهشة ، وهتف فى لهجة
تحمل الخيرة والاستكثار ، وخيبة الأمل معا :

— وهم !؟ .. كل هذا مجرد وهم يا (نور) ؟

صرخ (نور) فى غنف :

— نعم .. وهم .. وهم .. وهم ..

حالت منه التفاته إلى الدكتور (حجازى) ، وهو يهتف
بتلك الكلمات ، فألفاه جاحظ العينين ، شاحب الوجه ، زائع
البصر ، يتطلع إلى مكان ما خلفه هو ، وهو يقول فى صوت
ارتجفت حروفه ، وامتصت ، حتى كادت تندمج بعضها
ببعض ، فى جملة مُبهمة :

— إذن فهو أبشع وهم واجهته فى حياته يا (نور) .

انخرقت عبارته صدر (نور) كخنجر حاد ، ودفعته دفعا
إلى الالتفات ، إلى حيث يحدق الدكتور (حجازى) ، بكل هذا
الرعب ..

وعندما فعل ، غاص قلبه بين قدميه ، واتسعت عيناه فى
رُعب هائل ، وامتقع وجهه على نحو مُفزع ..

لقد كان يتطلع مباشرة إلى صورة مجسمة للرعب ..

بل هو الرعب ..
الرعب ذاته ..

وقفت (سلوى) خلف زجاج حجرة الفناية المركزة ، فى
مستشفى (القاهرة) المركزى ، تتطلع إلى ابنتها الفاقدة
الوغي ، والدموع تنحدر على وجنتيها كقطرات من الحُمم ،
واقترب منها رئيس أقسام الطوارئ ، وهو يغمغم فى تعاطف :
— سَشفى ياسيدتى .. صدقيني .. سَشفى حتماً بإذن
الله .

أومات برأسها موافقة ، وغمغمت :

— أعلم ذلك ياسيدتى ، فلقد قضيت انا وروجى
ما يقرب من عامين ، فى غيبوبة مماثلة ، قبل أن نستعيد نشاطنا
تماما بفترة ، ولكننى أشفق على ابنتى من أن تخوض تجربة
مماثلة (*) .

تطلع لحظات إلى وجهها الشاب فى خيرة ، ثم غمغم :

(*) راجع قصة (الكابوس) .. المغامرة رقم (٦١) .

— أخبريني يا سيدي .. اليس من العجيب أن تنجب شابة
مثلك ، فتاة ناضجة مثلها ؟

غمغمت في حزن :

— إن هذا إنتاج تجربة رهيبة أخرى ، جعلت ابنتي تنضج
بصورة صناعية ، متخطية عوامل الزمن يا سيدي (*) .
تطلع إليها في دهشة ، وهو يغمغم :

— يا إلهي !.. أتى أسيرة منكوبة أنتم ؟ هذا أسوأ حظ
قابلته في حياتي !!
تمتمت في ألم :

— لست مسألة حظ يا سيدي .. إنه عملنا ..

هتف في دهشة :

— عملكم !؟

أومأت برأسها إيجاباً ، وغمغمت :

— نعم .. إلنا نعمل لحساب التخابرات العلمية .

هتف في دهشة :

— أنتم !؟

ثم ضرب جبهته بكفه ، مستطرداً في انفعال :

(*) راجع لقصة (سادة الأعماق) .. المغامرة رقم (٦٢)

— يا إلهي !! كيف لم يخطر هذا ببالي ؟!.. لقد تذكرت الآن
أين رأيت وجهك يا سيدي .. لقد كان ذلك في (أبناء
القيديرو) ، على شاشة الهولوفيزيون ، عندما

بتر عبارته بغتة ، وهو يهتف :

— يا إلهي !!

التفتت إليه (سلوى) ، ورأته يحدق في شيء ما ، داخل
حجرة العناية المركزة ، فصاحت في ارتياح :

— ماذا حدث ؟!.. ماذا أصاب ابنتي ؟

هتف ، وهو يشير إلى أحد الأجهزة العديدة ، التي تزدحم
بها الحجرة :

— انظري إلى رسّام المخ الإلكتروني . إنه يشير إلى
حدوث نشاط رهيب .. نشاط عقلي فائق .. يفوق حتى
نشاط مخ طبيعي .

هتفت في دُعر :

— وما الذي يعنيه هذا ؟

تراجع في حركة حادة ، وهتف في رعب ، وهو يحدق
داخل الحجرة :

— يعني هذا



رأت ابتها تنهض جالسة على فراشها ..
ومن عينيها أطل شر الدنيا كلها ..

استدارت إلى داخل الحجرة ، ورأت ما يعنيه ..
رأت ابتها تنهض جالسة على فراشها ..
ومن عينيها أطل شر الدنيا كلها ..
ولخطتها شعرت (سلوى) بالخوف ..
الخوف على ابتها ..
ومنها ..



٣ - كل الرُّعب ..

كان ذلك المخلوق ، الذى يقف أمام (نور) والدكتور (حجازى) هو الرُّعب نفسه ، وقد تشكّل فى صورة ماذية .. كان عبارة عن وجه شبه وحش ، من أبشع ما رآه الاثنان .. وجه له عين واحدة ، فى منتصفه تمامًا .. عين حمراء .. قانية .. مخيفة ..

وحولها عدد من الأفواه ، ذات الأنياب الحادة البارزة ، التى تسيل منها الدماء ، وكأنما انتهى كل منها من التهام فريسته على التو ..

وهذا الوجه يقف على عشرة أرجل ، كعنكبوت بشع رهيب ..

ولى وحشية وشراسة ، راحت العين الحمراء الرهيبة تحدق فى وجهى ضحيتها ، وراحت الأفواه تفتح وتغلق ، والأنياب الحادة تتصادم وتضطك ، فيصدر عنها صوت كصليل السيوف ، وقرع الأجراس ..

وتراجع (نور) والدكتور (حجازى) فى رُعب ، والأخير يردّد فى ارتباك :

— لقد انتقلنا إلى الجحيم .. لقد فعلنا حتمًا .. ليس هذا الشيء من مخلوقات الأرض . هتف (نور) فى ثورة :

— متى ينتهى هذا الجحيم ؟ .. متى ؟ ..

ردّدت الجدران صدى هتافه ، فى إيقاع هابط ، زاد من هول الموقف ، وخاصة عندما جاوبه ذلك الوجه بصيحة من صيحاته ..

كانت صيحته أشبه بأنين آلاف الملعدين ، ونواح مئات الشكالى ..

كانت لحة من الجحيم بحق ..

وارتحف جسدا (نور) والدكتور (حجازى) ، وهما ملأتهما نفساهما برُعب لا حدود له ، على حين تحركت الأقدام العشرة فى بطاء ، ليتجه ذلك المخلوق نحوهما ، وأنيا به ليلاعد وتتعالى كموت يهّم باقتناص ضحية جديدة ..

وهنا انتزع (نور) نفسه من رغبه انتزاعًا ، وانتزع مسدسه الليزرى ، وصرخ فى إصرار وعناد :

نهضت (نشوى) من رقادها ، وعيناها تتألقان ببريق
مخيف ..

بريق شيطاني ..
وفي بقاء ، أدارت عينيها إلى تلك الأجهزة الإلكترونية
الحديثة ، التي تحيط بها ..
ثم صرخت ..

وارتحفت (سلوى) في رغب ، وهبط قلبها بين قدميها ،
وتمزقت نفسها بين فزع ومرارة وحزن ، عندما اخترقت
صرخة ابتها أذنيها ..

كانت صرخة مخيفة ، أشبه بزئير عشرات الأسود
الغاضبة ..

وفجأة ، انزعجت (نشوى) كل الأنابيب الطبية المتصلة
بجسدها في غنغ ، ثم هبت واقفة ، فراجع رئيس أقسام
الطوارئ ، وهو يهتف :

— أسرعوا .. لقد عاودتها التوبة .. أسرعوا ..
الدفع خمسة من الممرضين نحو الحجرة ، في نفس اللحظة
التي اقتربت فيها (نشوى) من باب الحجرة الزجاجي
السميك ، و (سلوى) تهتف في ارتياح :

— فلتر أوفهم أنت أم حقيقة ؟
وانطلقت أشعة سدسه تشق فراغ الكهف ، وترتطم
بالمخلوق المخيف ، ثم ترتد عنه إلى الجدران ، فتحطم
الصخور ، وتثير الرمال ..

وأطلق (نور) الأشعة مرة ، ومرة .. وثالثة ..
وفي كل مرة يحدث الشيء نفسه ..
تنعكس الأشعة ، ويبقى المخلوق سليماً ..
والتصق الدكتور (حجازي) بالحائط ، وهو يهتف في
فزع :

— وهما كان أم حقيقة .. لقد عجز سلاحك عن صدّه
يا (نور) ..

أجابه (نور) بهتاف مرتجف :
— يا إلهي !! ..

وأمام عينيهِ المتناعتين ، رأى المخلوق المخيف يحاصر الدكتور
(حجازي) بين برورئين صخريين ويفتح أفواهه كلها ، ويرز
منها مئات الأنابيب ..

كان يهتف بالتهام فريسة جديدة ..
فريسة بشرية ..

— ماذا أصابها ؟ .. ماذا حدث ؟

اختلفت حروف كلمتها الأخيرة مع صوت تحطم الباب
الزجاجي السميك ، إثر لكمة هائلة من كف (نشوى)
الرقيقة ..

وتراجع الممرضون الخمسة إلى خوف وهلع ..
لقد كان ذلك الزجاج السميك ، الذي حطمه
(نشوى) بلكمة واحدة ، من نوع غير قابل للكسر ..
من نوع تفجّر حتى رصاصات القرن العشرين عن
تخطيحه ..

وصرخت (سلوى) في زعب وارتياح :

— أنقذوها .. أنقذوا ابنتي .. أرجوكم ..

هتف أحد الممرضين الخمسة في ذهول واستكار :

— ننقلها !؟ ..

وهتف آخر في دُغر :

— المهم هو أن ننقذ أنفسنا منها ..

قال هذا وهو يغدو مبتعدا ، على حين حاول زميل له أن
يقترّب من (نشوى) ، وهو يقول في توثر :

— مهلاً يا آنسة .. مهلاً .. لم لا نتحدث على نحو منطقي ،

أو

لم يتمّ المسكين عبارته ؛ لأن قبضتها هوت على فكّه ،
فحطّمته تحطيمًا ، وسقط الرجل غارقًا في دمانه ، وقد
انشطرت فكّه إلى شطرين ..

وصرخت (سلوى) في ألم وعذاب :

— مستحيل ! .. مستحيل ! ..

دفعت صرختها (نشوى) إلى أن تلتفت إليها ..

والتفت عيناهما ..

واتسعت عينا (سلوى) في ارتياح ..

ليست هذه عيني ابنتها ..

صحيح أنهما تشبهان عينيها ..

ولكنهما ليستا هما ..

هاتان العينان تحملان شرّ الدنيا كلها ، وشراستها

ووحشيتها ..

إنهما عينا شيطان ..

والتصق الجميع بالحائط في رُغب ، على حين التفتت

(نشوى) بجسدها كله إلى أمها ، ثم اتجهت إليها في وحشية

مخيفة ..

وفجأة ، أمسكت (نشوى) عُقْ أمها ، وضمت قبضتها

في عُنف وشراسة ..

واتسعت عينا (سلوى) في رعب هائل ، ومرارة لا حصر لها ..

إنها تواجه الموت ..

الموت في قبضة أحب مخلوقات الدنيا إليها ..

في قبضة ابتها ..

شحب وجه الدكتور (حجازى) في شدة ، حتى صار أشد امتقاغا من وجوه تلك الجثث ، التى يعكف على فحصها طيلة الوقت ، والمخلوق الخفيف يحاصره تماما ، ويتأهب لالتهامه بلا رحمة ..

وانهار الدكتور (حجازى) ، وهو يهتف :

— إنها النهاية يا (نور) .. لم أكن أتوقعها على هذا النحو البشع ، ولكنه قدرى ..

الوداع يا (نور) .. الوداع يا ولدى ..

اتسعت عينا (نور) في خوف ويأس هائلين ، ثم لم يلبث يأسه أن تنحى جانبا ، وتلاشت نظرة الخوف من عينيه ، وحلت محلها نظرة عناد وإصرار هائلة ، وانعقد حاجباه في غضب ، وهو يهتف بصوت قوى ، ارتجّت له جدران المكان كله :

— كلاً ..

وبلا سلاح ، اندفع نحو المخلوق المرعب ، وبقفزة واحدة اعتلى جسده ..

لقد بدأ (نور) صراغا رهيبا ..

صراغا شيطانيا ..



٤ - الانهيار ..

كان الموت يطلّ شامئًا من قبضة (نشوى) ، وهي بهم
بقتل أمها ..

وكانت الوحشية تطلّ من عينيها ..

أتى شيطان هذا ، الذى فعل بها ذلك ؟ ..

أتى شرّ هذا ، الذى يدفع ابنة إلى قتل أمها ؟ ..

ومن العجيب أن (سلوى) لم تشعر بالخوف ، وهي
تواجه الموت ، على يد ابنتها ..

كل ما شعرت به هو الألم والحزن والمرارة ..

ومن عيني الأم ، سالت دموع ساخنة ..

دموع انحدرت على وجنتيها الشاحبتين ، لتعقر فيهما نهري
من خضم الأمومة ..

وفى استسلام كامل ، تطلّعت (سلوى) إلى عيني ابنتها ،

تنتظر الموت القادم إليها كالصاعقة ..

ولكن المعجزة حدثت فجأة ..



وبلا سلاح ، اندفع نحو المخلوق المرعب ، وبقفزة واحدة اعتل جسده ..

معجزة إلهية عجيبة ..

معجزة من معجزات الخالق (عز وجل) ..

لجأة ، لانت القبضة المضمومة ..

وتراخت الأصابع ..

وتلاش الشر من النظرات ..

ومن عيني (نشوى) ، أطل عذاب عميق ، لم يلبث أن

تحول إلى خيرة ودهشة ..

وفي بطاء امتدت تلك الأصابع ، التي كانت تستعد

للقتل ، لمسح دموع (سلوى) ..

وهطت (نشوى) في خيرة وإعفاء :

— أمه !! ..

لقد غسلت دموع الأم روح الشر ..

غسلتها من نفس ابتها ..

وتلاشى الشيطان من نفس (نشوى) ..

ثم انهارت لجأة ..

عادت إلى غيوتها العميقة ..

إلى عالم اللاوعي ..

جاءت انقضاضة (نور) على المخلوق البشع مباغتة ، حتى

أن جسده قد ارتطم بالصخور ، ثم انقلب على ظهره ،

كمكبوت بشع ، أصابته ركلة من قدم غاضبة ..

وسقط (نور) وسط الأرجل العشر ، وراح يلکم المخلوق

في أنحاء جسده ، صائحاً في غضب :

— لن تهزمننا .. لن تهزمننا أبداً ..

وراح المخلوق يقاقل في شراسة ، وهو منقلب على ظهره ،

وأرجله العشر تركل (نور) ، وتدفعه في وحشية ، وأفواهه

كلها تحاول الإطباق على أى جزء من جسد (نور) ، في حين

بقى الدكتور (حجازى) ملتصقاً بالجدار ، جاحظ العينين في

رُعب ، ذاهلاً .. مشدوهاً ..

ولكن انقضاضة (نور) راحت تتغلغل في أعماقه في بطاء ..

لقد جازف (نور) بحياته من أجله ..

من أجل إنقاذه ..

لقد واجه الموت لينقذه منه ..

وانتزعت تلك الفكرة ذهوله وخوفه ..

هو أيضاً امتلاً بالغضب والصرامة ..

وفي حركة حادة ، انتزع من جيب سترته مبضعاً كبيراً ،

من تلك المباحض التي يستخدمها لتشریح الجثث ..

وبصرخة صارمة ، قفز بدورها نحو المخلوق ، وغاص تصل
مضعه في عينه الواحدة الضخمة ..

وانطلقت صرخة المخلوق كالأنين والثناح ..
صرخة رهبة هائلة ..

وتفجرت عينه الخيفة كقنبلة مكتومة ، واندفعت منها
الدماء في عنق ، وراحت الأرجل العشر تتراقص في تشنج
عنيف بعض الوقت ، والدماء تسيل من العين المفقوعة في غزارة
مخيفة ..

ثم انتهى كل شيء ..

سكن المخلوق الخيف ، وانتهى وسط بركة رهبة من
الدماء ..

ونفض (نور) مشدوها ، يحدق في الجسم الراقد أمامه ،
مغمغماً :

— لقد أفلح المضع فيما فشلت فيه أشعة الليزر ..

غمغم الدكتور (حجازي) :

— تذكر أن أشعة الليزر تعجز عن تحطيم مرآة ، فتعكس
عنها ، دون أن تصيبها بأذى ضرر ، على حين يصنع حجر صغير
ذلك ، وبكل كفاءة ..

تنهد (نور) ، وأوما برأسه مغمغماً :
— صدقت ..

وران عليهما الصمت لحظات ، وكأنما يسعى كل منهما
لالتقاط أنفاسه ، قبل أن يغمغم (نور) في هدوء ، بدا عجباً
في تلك اللحظة ، وفي ظل هذه الظروف :

— أعلم ما الذي يريدكني حتى الآن يا دكتور (حجازي) ؟
سأله الدكتور (حجازي) دون أن يلتفت إليه :
— ماذا ؟

تنهد (نور) مرة أخرى ، وقال :

— إنني أجهل - حتى الآن - من أحارب .. أو ماذا أحارب ..

غمغم الدكتور (حجازي) في خيرة :

— تحارب !؟

قال (نور) ، وقد بدأت حدة عصبية تنمو في صوته :

— نعم .. مارلت أجهل حتى الآن ، من عدوى ..

أجابه الدكتور (حجازي) في تردّد :

— إنها الأرواح الشريرة يا (نور) ..

صاح في خنق مباغت :

— أية أرواح شريرة !؟ .. منذ متى تفعل الأرواح الشريرة

ذلك ؟ .. إن أقصى ما بلغنا عنها ، هو أنها تُشعل النار في
الأنثلاث ، أو تنقل الأشياء من مواضعها ، ولكن ما يحدث هنا
يفوق كل ذلك ..

ثم قلب كفيه ، وهو يستطرد ساخطاً :

— ولا يتبع أية قوانين .

شعر الدكتور (حجازي) بالقلق ، وخشى أن يصاب

(نور) بالهيار عصبى ، فقمغم محاولاً تهدئته :

— رؤيدك يا (نور) .. رؤيدك يا ولدى .. العالم لم ينته

بعد .. من يدري ؟ .. ربما

قاطعه (نور) هائفاً :

— ربما أمكننا الخروج من هنا .. وربما بقينا إلى الأبد ..

نعم .. من يدري ؟

وفي غضب ، انتزع خزانة الطاقة ، من مؤخرة مسدسه

الليزرى ، فهتف به الدكتور (حجازي) في دُغْر :

— ماذا ستفعل ؟

هتف (نور) في حزم غاضب :

— سأحسم الأمر .

هبّ الدكتور (حجازي) واقفاً ، وهو يهتف مدعوراً :

— ربّاه !؟ .. هل ستلقى خزانة الطاقة على جدران
الكهف ؟

أجابه (نور) في جدّة :

— نعم .. سأفعل .. هذا هو سبيلنا الوحيد .

صرخ الدكتور (حجازي) في رُغْب :

— وماذا لو انتهار المكان على رؤوسنا ؟

صرخ (نور) :

— وماذا لو أن نجاتنا تكمن خلفه ؟

وفي حزم ألقى خزانة الطاقة على الجدار ، وارتج المكان

كله بصوت انفجار قوى .

انفجار رهيب ..



٥ - العدو ..

تصاعدت درجة حرارة تلك الحجرة ، التي يجلس فيها
(صفوت) ، مع سيده (ابن الشيطان) ، حتى بدت أشبه
بيورة من الجحيم ، وراح (صفوت) يتصبّب عرقاً في شدة ،
وهو يغمغم في خوف :

— سيدي .. سيشتعل المكان ياسيدي .. أرجوك ..

فتح (ابن الشيطان) عينيه بغتة ، وحدّق في وجه
(صفوت) بعينه الناريّتين في غضب ، وهو يقول :

— يشتعل ١٢

تراجع (صفوت) في خوف ودهشة ، ولاحظ كيف أن
حرارة الحجرة راحت تنخفض تدريجياً ، وهو يتمم :

— معذرة ياسيدي .. ولكنك كنت ترتجف ، غائباً عن

الشعور تماماً ، وكانت درجة الحرارة ترتفع ، و

لم يستطع إكمال عبارته ، وهو يتطلّع إلى العينين الناريّتين ،
غير البشريّتين ، وراح العرق يتصبّب على وجهه غزيراً ، على

الرغم من أن درجة حرارة الحجرة كانت قد انخفضت إلى
أقصى حد ، فانهارت عيناه أرضاً ، وهو يتمم :

— الرحمة ياسيدي ١١ الرحمة ١١

أناه صوت (ابن الشيطان) ، وهو يغمغم في لهجة تجمع
ما بين السخرية والدهشة والاستنكار :

— الرحمة ١٢

ثم انطلقت في المكان ضحكة رهيبة ، بدت وكأنها قادمة من
أعماق الجحيم ، وهبّ (ابن الشيطان) واقفاً ، فبدأ كارد
هائل ضخّم ، وهو يستطرد في قسوة :

— قاموسى لا يحوى هذه الكلمة أيها الإنسانى ، فلا تنطق
بها أبداً .

هتفت (صفوت) في ارتباك :

— لن أفعل ياسيدي .. أقسم لك .. أقسم لك ..

قال (ابن الشيطان) في صوت جهورى رهيب :

— أعلم أنك لن تفعل .

ثم تحرك في خطوات قويّة نحو حجرة جانبية ، وقال دون أن

يلتفت إلى (صفوت) :

— لا تدخل إلى هذه الحجرة .



وبرقت عيناه ، وهو يستطرد في شراسة رهية :
— مهما كانت الأسباب ..

وبرقت عيناه ، وهو يستطرد في شراسة رهية :
— مهما كانت الأسباب .

وأوصد الباب خلفه في قوة ، تاركًا (صفوت) يرتعد
خوفًا ، قبل أن تهدأ نفسه تدريجيًا ، ويغمغم في تولد :
— لماذا أطيعه ؟ .. لماذا ؟

أجاب الشيطان الراهض في أعماقه :
— لأنه الأقوى ، ولأنه وعدك بأن يمنحك شركة أبناء
القيدير كلها .

برقت عيناه في شراسة ، وهو يغمغم في شراسة وطمع :
— نعم .. لأنه سيمنحني القوة والمال .
ثم صبّ لنفسه كأسًا من الخمر ، رفعها عاليًا ، وهو يهتف
في نشوة :

— نخب الشيطان الابن .
وجرع كأسه دفعة واحدة ..
وارتوى شيطان الشر في أعماق أعماقه ..

أرقد المرضون (نشوى) على سريرها ، في حجرة العناية
المركزة ، وراح رئيس الأقسام يطمئن على انتظام نبضها

بنفسه ، قبل أن يتشهد في عمق ، ويلتفت إلى أمها ، قائلاً
بابتسامة باهتة :

— لقد صنعت دموعك معجزة يا سيدتي .. لقد أنقذت
الجميع .

تمتمت (سلوى) في حزن :
— فيما عدا ذلك المسكين ، الذي تحطم فكه ، وأصيب
نحبه بالارتجاج .

غمغم رئيس الأقسام في اقتضاب حازم :
— سيشفى بإذن الله .

وقاد (سلوى) إلى الخارج ، مستطرذاً في قلق :
— ولكن دم ابتك ما زال يحوي تلك الأجسام الغريبة ،
وبنفس النسبة .

سأله في اهتمام :
— ألم تتوصلوا إلى معرفة كنهها بعد ؟
هز رأسه نفياً ، وهو يقول :

— كلاً للأسف .. لقد خيّرنا أمرها جدّاً ، فهي ليست
بميكروبات ، أو فيروسات .. إنها أجسام خاملة تماماً ،
لا تتفاعل مع أى وسط حتى ، حاولنا زرعها فيه ، أو أى وسط
كيميائي آخر ، ومن المفروض أن يعنى ذلك عدم ضررها تماماً ،

ولكن ذلك غير صحيح ، فيها هي دى تاني أفعالا محيطة .
يشيب لها الولدان ، في جسد ابتك .

غمغمت في ارتباك :
— يا إلهي !!

ثم انحدرت من عينيها دموع ساخنة ، فطلع إليها الطبيب في
إشفاق ، وسألها في تردد :

— أأنت عضواً في فريق للمخابرات العلمية ؟
أومأت برأسها إيجاباً ، فعاد يسألها :

— أين باقي الفريق إذن ؟ .. لم لا يتعاونون معك ومعنا ،
للبحث عن خلاص لابتك من هذا ؟

زفرت في مرارة ، وهي تقول :
— لا يوجد فريق الآن .. لقد أصيب نصفه في مغامرة

سابقة (*) ، ولم يعد هناك سوى ، وسوى زوجي فقط .
سألها في دهشة :

— أليست ابتك ؟
أجابته قبل أن يتم سؤاله :

— كلاً .. ليست ضمن الفريق .

(*) راجع قصة (الستار الأسود) .. المغامرة رقم (٧٠) .

وزفرت مرة أخرى في مرارة وألم ، قبل أن تستطرد :
— إنها فقط ضحية ... ضحيته للمرة الثانية .

انفجرت خزانة الطاقة الصغيرة ، الخاصة بمسّس
(نور) ، في جدار الكهف ، وارتج المكان في قوة ، وبدا
لحظة أنه سينهار على رأس (نور) والدكتور (حجازي) ،
اللذين راحا يستعلان في قوة ، بسبب سحابة الغبار الكثيفة ،
التي تولدت عن الانفجار ، قبل أن يخفق قلباهما في لهفة
وأمل ، وقد سقط ضوء قوى على وجهيهما ..

وهتف الدكتور (حجازي) في فرحة غامرة ، وهو يتطلع
إلى تلك الرّذعة الأنيقة ، التي بدت من خلف فجوة في جدار
الكهف :

— منزلك يا (نور) .. إنه منزلك .

دفعه (نور) أمامه ، وهو يهتف :

— نعم .. إنه هو .

لم يصدقا نفسيهما ، عندما عبّرا الفجوة ، ووقفا وسط
رّذعة منزل (نور) ، وصاح الدكتور (حجازي) في
سعادة :

— لقد نجونا يا (نور) .. لقد نجونا ..
غمغم (نور) :

— نعم .. لو أنك تقصد إضافة كلمة (مرحليا) ، فأنا
أوافقك .

تصلب جسدهما بقتة ، عندما انبعث من خلفهما صرير
قوى ، وهتف الدكتور (حجازي) في دُغر :
— ربّاه !! ليس ثانية .

التفتا في آن واحد ، نحو الفجوة التي أتيا منها ، ثم تراجعا في
دهشة ..

لم تكن هناك فجوة ..

لم يكن هناك شيء ..

فقط جدار رّذعة (نور) ، بأناقته ، وطلاته المعهود ،
ومصباحيه الفسفوريين ..

وكأنما لم يكن هناك سواه ..

لا كهف .. لا خوف ، لا وهم ..

وهتف الدكتور (حجازي) مذهولا :

— مستحيل !! .. لقد عبّرنا الفجوة تَوًّا ..

غمغم (نور) في توّثر بالغ :

— أو أننا لم نتقل من مكاننا، وأن كل هذا كان مجرد وهم .
نفض الدكتور (حجازى) الغبار الكثيف عن ثيابه ، وهو
يهتف :

— وهم ؟! .. وماذا عن غبار الجحيم هذا ؟
نفض (نور) الغبار عن ثيابه بدوِّره ، وهو يقول فى
خبرة :

— نعم .. هذا الغبار حقيقى .
وتطلَّع إلى الجدار مرَّة أخرى فى دهشة ، ثم اتجه إليه فى
حزم ، وراح يدقُّ عليه يقبضته فى قوَّة ، قبل أن يتراجع مرَّة
أخرى ، هاتفاً فى خيرة أشدَّ :

— إنه مُصنَّع تماماً .. لا توجد خلفه آية تجاريف .

صرخ الدكتور (حجازى) فى جدَّة :

— من أين أتينا إذن ؟

تلَّفت (نور) حوله ، وهو يقول :

— بل قل كيف أتينا ؟

توقَّف بصره بغتة عند نقطة ما ، وارتجف صوته من فرط

الانفعال ، وهو يستطرد :

— أهذا أيضاً وهم ؟

أدار الدكتور (حجازى) عينه إلى حيث ينظر (نور) ،
وارتفع حاجباه فى ارتياح ، وهو يهتف :

— يا إلهى !!... الدكتور (عبد الجليل) ؟

كانت جثة الوسيط الروحانى الأشهر مُلقاة أمام باب
المطبخ ، كاملة ، فى نفس الموضع الذى ترك فيه الاثنان تلك
الكُرَّة البشعة ، التى تخلَّفت عن الكيان الأسود الرهيب ،
الذى ابتلع الدكتور (عبد الجليل) أمام عيونهما ..

وبلا تفكير ، اندفع الاثنان نحو جثة العالم المسكين ، الذى
بدا صاحب الوجه فى شدَّة ، وانحنى الدكتور (حجازى)
يلصق أذنه بصدر الجثة ، قبل أن يعتدل ، ويتطلَّع إلى عيني
الجثة الجاحظتين ، مغصفاً فى شحوب :

— لقد لقي مصرعه .

هتف (نور) فى توثر :

— ليس هذا ما يدهشنى ، وإنما أساءل : من أين جاء ؟ ..

وأيِّن اختفى من قبل ؟ ..

وتعالى صوته ، وهو يصرخ مستطرداً :

— وأنى منطق يحكم كل هذا ؟

تلَّفت الدكتور (حجازى) حوله فى خوف ، وهو يغتم :

— منطق الرعب .

لُوح (نور) بذراعه في خنق ، وهو يهتف :

— أئى منطق هذا ؟ .. وما هو ؟ .. أو من هو ذلك العدو

الخفى ، الذى يستخدم معنا ذلك المنطق ؟ .. ولماذا يفعل ؟ ..

وما هدفه ؟

غمغم الدكتور (حجازى) :

— ربما يهدف إلى إخالطنا لحسب .

صرخ (نور) :

— لماذا ؟ .. إخالطنا ليست هدفه حتمًا .. إنما هى وسيلته

للوصول إلى هدف ما .. وما أسأله هو لماذا ؟ ..

ران عليهما صمت ثقيل ، بعد سؤال (نور) الأخير ،

وبدا ذلك الصمت ، بتناقضه التام مع ثورة (نور) قبل لحظة

واحدة ، أكثر مدعاة للخوف والقلق ، حتى أن الدكتور

(حجازى) وجد نفسه مضطربًا لقطعه ، مغمغمًا :

— أظن أنه هناك وسيلة يا (نور) .

الفتت إليه (نور) ، يسأله في لهقة :

— ما هى ؟

تردد الدكتور (حجازى) على نحو واضح ، وكأنما شعر

بالثدم ، على تفوهه بتلك العبارة ، فهتف (نور) يستحبه على

الإجابة :

— ما هى يا دكتور (حجازى) ؟ .. ما هى بالله عليك ؟

تنهد الدكتور (حجازى) فى عمق ، وقال :

— أن نلجأ إلى أكبر خبراء ما فوق الطبيعيات فى الشرق

الأوسط .. وأن

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدق فى نقطة ما خلف (نور) فى

رُغب هائل ، كادت عيناه تقفز ان له من محجريهما ، فالتفت

(نور) إلى حيث ينظر فى جدّة ، ثم تراجع فى قفزة واحدة

كالصعوق ..

لقد كانت جثة الدكتور (عبد الجليل) جالسة ، تحدق

فيهما فى هدوء ، وعلى شفيتها ابتسامة شاحبة ..

ابتسامة جثة ..

٦ - المستحيلات ! ..

على عكس الدكتور (حجازى) ، لم يكن الشعور المسيطر على (نور) فى تلك اللحظة ، وهو يحذق فى تلك الجثة ، التى نهضت واقفة ، هو الخوف ..
بل كان الاستكار ..
ولقد عبر عن استكاره هذا فى صوت مسموع ، وهو يقول :

— مستحيل !!! المرقى لا يعودون إلى الحياة أبدا .

غمغم الدكتور (حجازى) فى رُعب :

— هذا ما كنت أؤمن به ، حتى هذه اللحظة

هتف (نور) فى عناد :

— مستحيل !!! الله (سبحانه وتعالى) وحده يُخَيِّ

المُوتى ، وما من مخلوق يملك أن يفعل ذلك ، دون

مشيئة (سبحانه) ، وما يحدث هنا من شرور ، يتنافى تمامًا مع

المعجزات الإلهية .

كان يقول هذا بكل عناد ، ووجه العالم الروحاني تتحرك نحوه فى ببطء ، وعيناها الباردتان تتركزان على وجهه ، فهتف الدكتور (حجازى) فى دُغر :

— ابتعد يا (نور) .. ابتعد يا ولدى ، قبل أن يظفر بك .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول فى عناد :

— مُحال .. إننى لم أفر أبدا من أمام رجل حى . فما بالك

برجل ميت ؟

وقفت الجثة فى هذه اللحظة ، على قيد خطوات من

(نور) ، الذى قال فى حدة :

— أنت ميت .

مضت لحظة من الصمت ، بدت فيها الخيرة على وجه

الجثة ، قبل أن يكرّر (نور) فى صوت قوى :

— أنت ميت .

وهنا غمغمت الجثة فى دهشة :

— أنا !؟

وفجأة ، تلاشت مظاهر الموت من الجثة ..

فجأة ، عادت إليها كل مظاهر الحياة ..

تورّدت البشرة بالدماء ..

واستعادت العينان بريقهما ..
وتلفت الرجل حوله في خيرة ، ثم استقرت عيناه على وجه
(نور) ، وهو يقول في توثر :
— لماذا قلت إنني ميت ؟
صاح الدكتور (حجازي) في انفعال جارف :
— إنها معجزة !! .. معجزة بحق !! لقد عاد الرجل إلى
الحياة !!

هتف (نور) في عناد :
— مستحيل يا دكتور (حجازي) !! لا أنبياء هنا .
غمغم الدكتور (عبد الجليل) في خيرة :
— ولكنني حتى بالفعل .
قال (نور) في حزم :
— وهذا لا يحمل سوى تفسير واحد .
سأله في لفة :
— ما هو ؟

صمت (نور) لحظة ، ثم أجابه في حزم وصرامة :
— أنك لم تُمِتْ منذ البداية .. لم تمت أبدا ..

أخلق (ابن الشيطان) حجرة (صفوت) خلفه في
إحكام ، وبإشارة من يده ، تكوّم أثارها كله في جانب منها ،
وانسدلت عليه ستارة سوداء ، حجبتة عن الأعين تمامًا ..
وبإشارة أخرى تحوّل لون الجدران والسقف والأرض إلى
لون أسود قائم مخيف ..
وظهرت شمعتان ضخمتا الحجم ، لهما لون أسود داكن ..
وبفرقة من سبّابه وإبهامة ، اشتعلت الشمعتان ، وسط
ذلك المحيط الأسود الرهيب ..
وركع (ابن الشيطان) على ركبتيه ، ورفع كفيه في الهواء ،
هاتفا في صوت عميق مخيف :
— أبناه .. هأنذا ابنك البار أعود .
برقت نقطة ما في سماء الحجرة ، وبدأت كصواعق
وأعاصير ، تدور في فلك محدود ، على حين ارتفع صوت (ابن
الشيطان) ، وهو يستطرد :
— هأنذا أسعى من أجلك .. من أجل انتقامك .
ارتجفت جدران الحجرة في قوة ، وراحت ترتجف كأوراق
شجرة ضعيفة ، على مشارف الخريف ، وتحوّل صوت (ابن
الشيطان) إلى هدير قوي ، وهو يتابع :

— سأظهر بحفيد (أوزيريس) .. سأنتصر هذه المرة ..
وكما قلت أنت : الكون لا يتسع لنا معا .. إنا هو ، أو أنا ..
تردد صدى كلمة (أنا) في قوة ، وهبت عاصفة ساخنة ،
التهت لها الجدران ، والشيطان الصغير يصرخ :
— إنها معركة النهاية يا أبتاه .. النهاية ..
وفي مقلتيه اشتعلت النيران ..
نيران الجحيم ..

« إنني لم أمت بالفعل .. » ..
غمغم الدكتور (عبد الجليل) بهذه العبارة في توثر ، عجبا
سؤال (نور) ، ثم زفر في عصبية ، مستطرذا :
— لقد ابتلعني ذلك الكيان الأسود الخيف حقا ، ولكنه لم
يكذب يفعل ، حتى سمعت صوتا أشبه بعظام تتحطم ، ووجدت
نفسى أسبح في فراغ مظلم رهيب ، حتى أنني قد تساءلت ،
على الرغم من شعوري الشديد بالخوف ، في تلك اللحظات ،
كيف أن هذا الشيء يحوى فراغا كهذا .. وفجأة شعرت أنني
أتحمد ، ويحيط بي قالب سميك ، ففقدت وعي ، وألقيت لأجديكا
أمامي ، وعندما اتجهت نحوها ، سمعتك تقول إننى ميت ،
فأصابني خوف ودهشة ، وكدت أموت بالفعل ، لولا أن
استعاد جسدى حيوية بغثة .



وركع (ابن الشيطان) على ركبتيه ، ورفع كفيه في الهواء ، هائلا في
صوت عميق مخيف : أجاه .. هانذا ابنك البار أعود ..

غمغم (نور) في صوت خفيض :
— وهم .

سأله الدكتور (حجازي) في دهشة :
— ماذا تقول ؟
صاح في جدة :

— أقول : وهم .. كل هذا مجرد وهم .
هتف الدكتور (حجازي) في جدة مماثلة :

— أي وهم هذا يا (نور) ؟ من المستحيل أن نعيش كلنا
وهنا واحدا .

قال (نور) في انفعال :

— لماذا ؟ .. ألم نفعل من قبل ؟ .. ألم نعيش وهما واحدا ،
ونحن نرى تلك الأيدي تبرز من الأرض ، وتعتصرنا جميعا ؟
غمغم الدكتور (عبد الجليل) في عصبية :

— بلى .. لقد حدث هذا ، و

قاطعته رنين التليفيديو ، فضغط (نور) زر الاستماع في
سرعة ، ورأى وجه زوجته الشاحب يبدو على شاشته ، فهتف
في قلق :

— ماذا هناك يا (سلوى) ؟

أجابته بكلمة واحدة ، كانت كافية لأن يرتطم قلبه
بضلوعه ، وتشتعل الدماء في عروقه :

— ابتنا يا (نور) .

ولم يسألها تفسيراً ..

لم يفعل ، لأنه لم يَعد هناك ..

لقد انطلق على الفور ..

انطلق إليها ..

« ما الذي أصابها ؟ .. »

ألقي (نور) هذا السؤال ، في لهجة تحمل كل قلقه
وتوتره ، ولهفته وخوفه ، فربت رئيس أقسام الطوارئ على
كفها ، وقال :

— اطمئن يا ولدي .. إنها نائمة الآن .

شرحت له (سلوى) الأمر في كلمات سريعة ، واستمع
هو إليها في توتر ، قبل أن يلتفت إلى رئيس الأقسام ، ويسأله :

— قل لي يا سيدي .. أما من وسيلة لتخليص جسدها من
تلك الأجسام العجيبة .

هز الرجل كتفيه ، وتردد لحظة ، ثم أجاب :

— ربما لو استخدمنا الغسيل الكلوي ..

قاطعه (نور) في هفة :

— استخدمه .

تطلع إليه الرجل في تردد ، وقال :

— هذا يحتاج إلى بعض الفحوص أولاً ، فلا أحد يدري

ما الذي يمكن أن يصيبها ، لو أن تلك الأجسام تحمل بعض
التأين .

قال (نور) في توثر :

— ابدل أقصى جهدك .

وانعقد حاجباه في توثر ، وهو يستطرد :

— كما سأفعل أنا .

تطلع الدكتور (حجازي) إلى (نور) طويلاً في سُكون ،

ثم تراجع في مقعده ، وزفر في قوة ، وغمغم في توثر واضح :

— أما زلت تصرّ على مواصلة القتال يا (نور) ؟

ابتسم (نور) ابتسامة باهتة ، وقال :

— أنظن ذلك القرار يعود إليّ حقاً يا دكتور (حجازي) ؟

— كلا .

ثم قلب كفيه ، مستطرداً في توثر :

— ولكن ما الذي يمكنك عمله ؟

أجابه (نور) في حزم .

— قالوا قديماً : « اعرف عدوك » .

تطلع إليه في دُغر ، وقال :

— عدوك ؟ .. أتريد معرفته ؟

أوماً (نور) برأسه إيجاباً ، وقال في صرامة :

— نعم .. حتى يمكنني مقاتلته .

وصمت لحظة ، ثم استطرد :

— ولقد ذكرت شيئاً عن كبير الخبراء في هذا المكان .

غمغم الدكتور (حجازي) :

— أقصد الدكتور (عزيز) ؟

أجابه (نور) في هدوء :

— نعم .. لو أنه يحمل الصفة السابقة .

تنهّد الدكتور (حجازي) في توثر ، وقال :

— حسناً يا (نور) .. سنذهب معاً إلى (عزيز) ، فقد نجد

لديه تفسيراً لما يحدث .

حاول أن يتسم ، إلا أن ابتسامته جاءت أشبه بالبكاء ،

وهو يستطرد :

— أو مزيداً من الغموض .

كان الدكتور (عزيز) هذا يقطن فيلاً عتيقة على مشارف
مدينة (القاهرة) القديمة ، تحيط بها عدة منازل غير مأهولة ،
صدر قرار بإزالتها منذ عشر سنوات تقريباً ، مما منح المنطقة
مظهراً كئيباً ، أشبه بمقبرة قديمة مهجورة ، جعلت الدكتور
(حجازى) يفهم فى توتر :

— لقد أصبحت تلك الأماكن ثورثى شعوراً بالرهبة
والخوف .

ثم (نور) :

— لماذا ؟!.. لقد هاجنا الرعب فى منزلى ، وتحت
الأضواء .

أجابته الدكتور (حجازى) ، وهو يتلفت حوله فى قلق :
— هذا صحيح ، ولكن المكان هنا يوحى بعشرات
الخيالات .

ابتسم (نور) ابتسامة باهتة ، وقال وهو يضغط زر جرس
باب الفيلا :

— وماذا تتوقع أن تجد هنا ؟.. هيكلاً عظيماً ؟

هتف الدكتور (حجازى) معرضاً :

— ليس إلى هذا الحد .. أتظننى ؟
انقطعت عبارته بفتة ، وغص حلقه بباقي حروفها ،
وتراجع مع (نور) فى حدة ، فالذى فتح لهما باب الفيلا لم
يكن بشرياً ..
كان هيكلاً عظيماً ..



٧ - الضحية ..

انعقد حاجبا المشرف على جهاز الغسيل الكلوي ، وهو يتابع تلك النتائج ، التي تراصت أمامه على شاشة الكمبيوتر ، قبل أن يغفم في حزم :

— مستحيل !

تطلعت إليه (سلوى) في جزع ، وهتفت :

— لماذا ؟ .. لماذا مستحيل ؟

أجابها في لهجة لا تحمل النقاش :

— دم ابتك عجيب يا سيدي .. إنه يحمل تأينا كهربيا

عيفا ، حتى أنه ليدهشني كيف أنه لم يصعقها حتى الآن .

هتفت في ذهول :

— ولكن هذا مستحيل .. ما من بشري يمكنه أن يحيا ،

وهو يحمل مثل هذا الدم في عروقه .

تطلع إليها في هدوء ، وهو يقول :

— لهذا تفسير واضح يا سيدي ، يبدو لي منطقيا ، ومتفقا

مع كل ما سمعته من أبناء عن ابتك .

سألته في لطفه :

— ما هو ؟

عقد حاجبيه ، وهو يقول في حزم :

— هو أن ابتك ليست بشرية يا سيدي .

اتسعت عيناها في ذعر ، ولكنها لم تبس بفت شفة ، فقد

بدا لها تفسيره ، على الرغم من غرابته ، منطقيا ..

منطقيا تماما ..

اتسعت عينا الدكتور (حجازي) في رعب وذهول ،

وهو يجذق في تلك الجمجمة البشرية ، التي تطل من خلف

الباب ، على حين هتف (نور) في عصبية :

— أي فعل شيطاني هذا ؟

انطلق من خلف الباب صوت يهتف في استنكار :

— شيطاني ؟

ثم اختفت الجمجمة خلف الباب ، وأطل بدلا منها وجه

متغضن ، لمجوز تجاوز الثمانين على الأقل ، راح يتطلع إلى

الوجهين الشاحيين أمامه ، قبل أن يطلق ضحكة عالية ،

ويقول في نحيب :



أخرج يده من خلف الباب ، وهي تحمل الجمجمة ، ثم عاد يُطلق ضحكة عالية ..

(م ٥ - ملف السطيل ٧٣ / مغزوث الجعيم)

— ماذا أصابكما ؟ .. تبدو أن كأنكما قد رأيتم شيئا .
عقد (نور) حاجبيه في ضيق ، على حين قال الدكتور
(حجازي) في توثر :

— ولكن ذلك الشيء ... أغنى هذه الجمجمة !! ..
عقد العجوز حاجبيه ، وهو يغمغم في دهشة :
— جمجمة ؟ !

ثم لم يلبث حاجباه أن ارتفعا وهو يهتف :
— آه !! .. أثغيان هذه ؟

أخرج يده من خلف الباب ، وهي تحمل الجمجمة ، ثم عاد
بُطلق ضحكة عالية ، ويقول :

— إنني لم أنتبه لذلك .. إنها جمجمة أثرية ، تعود إلى القرن
التاسع قبل الميلاد ، لرجل يشاع أنه أبرع سحرة عصره ،
و

بتر عبارته بغتة ، ليشير إلى الدكتور (حجازي) ، قائلا :
— قل لي : ألسن الدكتور (محمد حجازي) ، كبير
الأطباء الشرعيين ؟

غمغم الدكتور (حجازي) :
— هو أنا .

عُهِلت أسرار العجوز ، وهو ميتف :

— كيف حالك يا فسي ؟ .. أراهن أنك لا تذكر متى
الطينا .. لقد كان ذلك في القرن الماضي .. نعم .. في القرن
العشرين .. عندما كنت أنت معيذا صغيرا ، في قسم الطب
الشرعى بكلية طب (بنها) .. قل : أما زال والدك يصلح
الساعات بنفس المهارة ؟ .. أما زال شقيقك (علاء) يصاب
بتلك الحساسية ؟

ابسم الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

— إننى أذكرك بالطبع يا دكتور (عزيز) ، فأنت أستاذى
في علوم ما فوق الطبيعيات ، و ..
قاطع العجوز في حماس :

— ادخل أولا يا ولدى .. ادخل مع صديقك ، وسناقش
كل شيء في الداخل .

أفسح لهما الطريق ، وتبركهما يَدْلفان إلى الداخل ،
والدكتور (حجازى) يقدم له (نور) ، قائلا :

— أقدم لك الرائد (نور الدين) ، من الخباير العلمية
المصرية .

التمعت عينا العجوز ، وبدا فيهما بريق ذكاء حاد ، وهو
يتطلع إلى (نور) ، قائلا :

— الخباير العلمية ؟ .. يا لها من أسماء !! .. في أيامنا لم
تكن هناك مخاير علمية .. كانت هناك فقط مخاير
حربية ، ومخاير عامة ، وكان ذكر اسميهما — حينذاك —
يشير خيال الشباب وحماسهم ، وأذكر أننى كنت أطلع في
شبابى سلسلة عن أعمال الخباير ، كانوا يطلقون عليها اسم
رجل ال ..

قاطع (نور) في حزم :

— سيدى .. إننا نحتاج إلى مشورتك .

ابسم العجوز في سُخرية ، مغففا :

— في الخباير العلمية ؟

عقد (نور) حاجيه ، وهو يقول :

— كلا .. إننى أحتاج إلى استشارتك بصفة شخصية .

رفع العجوز حاجيه ، وهو ميتف :

— آه .. هذا أفضل .

وبدا اهتمام حقيقى في وجهه ، وهو يستطرد :

— ماذا تريد بالضبط يا ولدى ؟

أخرج (نور) من جيبه تلك الرسالة ، التى تركها له
جده ، والتى أرشدته إليها روحه ، في رؤيا غامضة ، وقال :

— أريد تفسيرًا لهذا .

تناول المعجوز الورقة في بساطة ، وهو يقول :

— أهو رمز ما ؟

هز (نور) رأسه مغمضًا :

— لست أدري .

قض المعجوز الورقة ، وتطلع إلى رسم القرص المنقوش ،
ثم انعقد حاجباه في شدة ، وامتنع وجهه على نحو ملحوظ ،
وهو يغمغم :

— يا إلهي !! .. رحماك ياربي !!

اتسعت عيناه (نور) ، وتبادلت نظرة غيلة مع الدكتور
(حجازي) ، قبل أن يسأل المعجوز في جدّة :

— ما الذي يعنيه هذا الرمز يا سيدي ؟

بدا المعجوز شديد الشُّحوب ، وهو يرفع عينيه إليهما ،
وتردّدت الكلمات على شفاه لحظات ، قبل أن يتمم بحروف
مرتجفة :

— هذا النقش ليس رمزًا يا ولدي .. إنه كلمة .. كلمة
بحروف مجهولة ، لن تجدها في أية قواميس ، أو حتى مراجع
اللغات القديمة .. كلمة لا ينجح في نطقها إلا الأشرار
والثغساء ..

سأله (نور) في لهفة :

— وما الذي تعنيه هذه الكلمة ؟

تضاعف شُّحوبه ، حتى بدا أشبه بجثة تمشي على قدمين ،
وهو يغمغم :

— إنها تعنيه هو .

هتف (نور) في دهشة :

— هو ؟

أجابه المعجوز في شُّحوب رهيب :

— نعم .. هو .. الشيطان .. الشيطان نفسه .



٨ - المعرفة ..

نستطيع أن نقول بكل ثقة ، وبلا أدلى بمجاملة ، إن صمتنا
تأماً قد نحيم على حجرة مكتب الدكتور (عزيز) لخمس دقائق
كاملة ، قبل أن يغفم (نور) في جلدته :

— الشيطان !؟ لا ريب أنك تمزح .

هاله شحوب العجوز ، وهو يغفم في خوف واضح :

— أمزح !؟ وهل يمزح المرء في مثل هذه الأمور

يا ولدي ؟

كانت عينا (نور) نحملاً كل الخيرة والشك والقلق ،
والرغبة في عدم تصديق ما يسمعه ، أو يراه ، وهو يجلس في
بطء على مقعد قريب ، مردداً :

— ولكن هذا مستحيل !!

تطلع إليه الدكتور (حجازي) في شحوب ، ثم جلس إلى
جواره صامتاً ، في حين يغفم الدكتور (عزيز) في توثر :

— لماذا يا ولدي ؟.. لماذا مستحيل !؟

حار (نور) لحظات في البحث عن الجواب ، ثم غفم في
لهجة ناله :

— لأن الشيطان لن يفرغ لمهاجني وخدي ، وإلا خلا
العالم من شروره ، التي اقتصرت على وخدي ..
مط الدكتور (عزيز) شففيه ، وهز رأسه في بطء ، وهو
يغفم :

— يبدو أنك لم تستوعب الأمر جيداً يا ولدي .

ثم مال بوجهه المتغضن نحوه ، مستطرداً في كلمات
ارتجفت حروفها :

— هذه الكلمة تعني الشيطان حقاً ، ولكن هذا لا يعني أن
الذي يهاجمك هو الشيطان نفسه .

ازدرد لعابه في صوت مسموع ، ثم أزدف في خوف :

— إنه ابنه .. (ابن الشيطان) .

ردد (نور) في ذهول :

— ابن الشيطان !؟

أوما الدكتور (عزيز) برأسه إيجاباً ، وأعاد جسده إلى
الخلف ، وأمسك ركبتيه البارزتين بكفيه ، قبل أن ينهض وسط
بحر من الصمت ، ويتجه إلى مكتبه الضخمة ، المكتظة بالكتب ،

ويلتقط منها كتاباً قديماً ، اصفرّت أوراقه من فرط قدمه ، وراح
يقلب صفحاته في سرعة ، حتى توقّف عند صفحة في
منتصفه ، والتقط منظاره الطيّ ، ووضعها على عينيه ، وراح
يقرأ في توثر :

— قديماً ، وعندما كان العالم كله غارقاً في ظلام الجهل ،
هبط الشيطان إلى الأرض ، وراقت له واحدة من بنات
البشر ، فتشكّل في صورة برّاقة ، وراق لها في هيئته البشريّة ،
فتروّجته ، وأنجبت منه ابناً ، هو نصف بشريّ ، ونصف
شيطان ، وهو خالد أبد الدهر ، لا يموت ولا
قاطعه (نور) في حدة :

— ما من مخلوق خالد يا سيدي .. الله (سبحانه وتعالى)
وخده الحيّ ، الذي لا يموت .

تنهد الدكتور (عزيز) ، وغمغم :

— لا يا ولدي .. لا تناقش هذه الأمور في تعصّب أو
عناد ، بل لا بد أن تناقشها بحياديّة تامّة ومنطق متعادل .
وعاد يميل نحوه ، مستطرّداً في حزم :

— هل سيقبّل الشيطان إلى يوم القيامة أم لا ؟
غمغم (نور) في توثر :

— سيقبّل .

اعتدل الدكتور (عزيز) ، وقال في حزم :

— ما الذي يمنع بقاء ابنه إذن ، ما دام هذا لا يعني الخلود ؟
تمم (نور) :

— سيدي .. إنك تهدم معتقدات نشأت معي ، و

لوح الدكتور (عزيز) بذراعه في حدة ، هاتفاً :

— هذا لا يعني شيئاً ، فقد ينشأ المرء على معتقدات خاطئة ،
يرضعها مع لبن أمه ، ويتنفّسها مع ثنوّه ، وتحفر خطوطها على
جبينه ، وفي عينيه ، ولكن هذا لا يعني أن يتشبّث بها ، وأن
يرفض مناقشتها .

خفض (نور) عينيه ، وهو يغمغم :

— أنت على حقّ يا سيدي .

عاد الرجل يقول في حزم شديد :

— كم يبلغ عمر السُلخفاة ؟ .. كم يبلغ عمر ذباب
المستقعات ؟ .. متى يأتي يوم القيامة ؟ .. أجب عن هذه
الأسئلة الثلاثة ، تستوعب منطق مخلود (ابن الشيطان) في
سلسلة .

كان ذكاء (نور) قادراً على إدراك مغزى الأسئلة ، فغمغم
في استسلام :

— لقد فهمت يا دكتور (عزيز) .. فالسُّلْحَفَاء يتجاوز
عمرها المائتى عام ، بالنسبة لبعض أنواعها ، على حين يُولد
ذباب المستنقعات ، وينمو ، ويموت ، فيما لا يتجاوز
اليومين ، وهذا يفتى أن السُّلْحَفَاء قد تبدو بالنسبة للذباب
المستنقعات خالدة ، في حين أنها ، على الرغم من طول عمرها
فانية ، وما دام أحد لا يعلم متى تقوم القيامة ، فهذا يفتى أنها
قد تحدث الآن ، والخلود يفتى أن يحيا المخلوق حتى تقوم
القيامة .. أقصد أن هذا مفهومنا نحن .. يا إلهى !!.. لقد
أدركت ما تقصده يا دكتور (عزيز) ..

تطلع إليه الدكتور (حجازى) فى دهشة ، وهتف :
— صدقنى يا (نور) .. إننى أتساءل : كيف أمكنك
فهم كل هذا بهذه السرعة ؟

ابتسم الدكتور (عزيز) ، وتراجع فى مقعده ، متمتعا :
— من الواضح أنه عبقرى .. إنه يذكرنى بصديق قديم
(رحمه الله) كانت له موقعة مُبيرة مع (ابن الشيطان) ،
و

بتر عبارته بفتة ، واتسعت عيناه فى شِدَّة ، ثم مال نحو
(نور) فى حدة مفاجئة ، وأمسك كتفيه فى قوة ، وهو يهتف :

— يا إلهى !!.. لقد أدركت الآن يا ولدى .. لقد أدركت
لماذا يقاتلك ذلك البشع .. لقد أدركت سر القتال ..

اشتعل لهيب الجحيم كله فى عيني الشيطان الصغير ، وهب
واقفا فى غضب ، على نحو جعل (صفوت) يرتجف ، ويلتصق
بالحائط ، هاتفا فى رُعب :

— ماذا حدث ؟ .. ماذا حدث يا سيدي ؟
هتف (ابن الشيطان) فى صوت قوى ، ارتجفت له
جدران منزل (صفوت) ، وهو يقول فى غضب :
— حفيد (أوزيريس) .. آخر أعدائى على وجه
الأرض .. لقد علم الآن فقط أنه يواجهنى أنا ..
تمم (صفوت) فى دهشة ، وتوتر :

— علم ؟ ..! ألم يكن يعلم ؟
أثقت عينا (ابن الشيطان) ، وهو يقول :
— كان سيعلم فى الوقت المناسب ..
تردد (صفوت) طويلا ، ثم غمغم :
— لِمَ لا تتركنى أقتله يا سيدي ، ونهى هذا الصراع ؟

هوت كل خلية من خلاياه رعباً ، عندما هتف الشيطان
الابن ، في غضب رهيب :

— تفتله ؟!.. أكنت نظنتى عاجزاً عن أن أفعل ، منذ
اللحظة الأولى ؟ قتل حفيد (أوزيريس) هذا لن يقتضى منى
أكثر من ساعة واحدة ، ولو أنك تظن أننى أحتاج إلى بشرى
ليفعل ذلك ، فأنت أحق وأهم .. إنك هنا لمهمة واحدة ..
مهمة واحدة فقط .

غمغم (صفوت) في توثر :
— مهمة واحدة .. ما هى يا سيدى ؟
أجابه فى صرامة :

— ستعرفها فى حينها .

كانت لهجته مخيفة ، حتى أن (صفوت) لم يجرؤ على
تكرار سؤاله ، وانكمش فى مكانه ، فى حين ابتسم سيده
ابتسامته الشيطانية ، وعاد يقول :

— لا زيت أنك تتساءل عن السر ، فى أننى لم ألتجأ إلى قتل
حفيد (أوزيريس) هذا مباشرة .. أليس كذلك ؟
أوماً (صفوت) برأسه إيجاباً ، دون أن ينبس ببنت شفة ،
فاتسعت ابتسامته الشيطان الصغير ، وبدأت لمساعدته البشرى
مُرعبة ، وهو يقول :

— لأن قومى أيضاً لهم تاريخ .. وتاريخهم هذا يمثل
بسجلات الهزائم وانتصارات بنى جنسنا على بنى جنسكم ،
ولقد كان من نصيبى ، فى المائة عام السابقة ، هزيمة نكراء ،
على يد جدّ ذلك الرائد ، وهذا يجعلنى لا أجرؤ على رفع عينى
فى عيني الجميع ، عندما أعود إلى موطنى الأصلي ، وأستعيد
هيئة أجدادى .

ارتجف (صفوت) ، لمجرد تصوّر هذا الواقع أمامه ،
وهو فى هيئة الشيطانية ، وراح يتطلّع إليه فى خوف ، وهو
يسمعه يستطرد :

— لذا فأنا أرغب فى تأكيد هذا الرائد هزيمة منكورة ،
تكون فخراً لى ، ولقومى كلهم .. وهذا ما ينبغى أن يسعى إليه
أمير للجحيم مثل .

وفجأة ، عادت لهجته إلى صرامتها ، وهو يهتف :
— هزيمة نكراء ..

التفضّ جسد (صفوت) كله رُعباً ، وانكمش فى مكانه
تماماً ، حتى لقد بدا وكأن جسده قد تضاعل ، وتحول إلى قَرم
صغير ، فى حين أشاح الشيطان الابن بوجهه عنه ، وهو يقول
فى صرامة :

— والآن اصمت تمامًا ، ودعني أستمع إلى ما يدور بين
خصمي اللدود ، وبين ذلك المعجوز السخيف ، الذي يعلم
عني كل شيء .

وارتسمت على شفاهه ابتسامة ساخرة ، لم يرها
(صفوت) ، وهو يستطرد :

— كل شيء .. تقريبا .

ثم أطلق ضحكة شيطانية ساخرة ..
ضحكة من أعماق أعماق الجحيم ..

« أنت تحمل دم (أوزيريس) .. »

نطق الدكتور (عزيز) بهذه العبارة في لحظة إفرارية حادة ،
سرت لها قشعريرة غامضة في جسد (نور) ، قبل أن يغمغم
في دهشة :

— دم (أوزيريس) ؟

أجابه المعجوز في حزم :

— نعم .. دم (أوزيريس) .. لقد تذكرت الآن من
أنت .. لقد كان جدك هو ذلك الصديق ، الذي تحدثت عنه
منذ لحظات .. هو أيضًا كان يحمل في عروقه دم (أوزيريس) .



ارتجف (صفوت) ، فحُرد تصوّر هذا الواقع أمامه ، وهو في هيئة
الشرطانية ، وراح يتطلّع إليه في خوف ..

ولقد اشتبك مع (ابن الشيطان) هذا في معركة حامية
الوطيس ، كان له فيها النصر ، ولقد قضى على ذلك اللعين
بوسيلة ما ، وأجبره على العودة إلى الجحيم عدة أعوام لا حصر
لها .

هتف (نور) في لهفة :

— كيف هزمه جدي ١٢ .. وكيف عاد هو إلى الأرض ؟
هز الرجل رأسه في أسف ، وغمغم :

— لست أدري كيف هزمه جدي ، فلقد فعل ذلك
وخذه ، وأصيب بعدها بصدمة شديدة ، جعلته يلزم فراشه
طويلاً ، وعندما التقيت به ، قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة ،
أشار إلى قرص معدني ، كان يحمل نفس هذه النقوش ، وقال
كلمة واحدة : « دُمَّرَ » ، ثم هرع إلى لقاء ربه .

سالت دمة حزينة من عينيه ، تشف عن مدى ما تحمله له
تلك الذكرى من ألم ، قبل أن يستطرد :

— وهكذا بقيت نقطة ضعف (ابن الشيطان) سرّاً
غامضاً .

هتف (نور) :

— كيف عاد إذن ؟

مطّ العجوز شفّيه في أسف ، وقال :

— ذلك القرص المنقوش ، الذي تركه لي جدي ، هو
الوسيلة الوحيدة لإعادة (ابن الشيطان) إلى الأرض ، فمن
الضروري أن يحسك به شخص ما ، ويقرأ النقوش المرسومة
عليه .. والتي تعني اسم الشيطان .. فإذا ما فعل شخص
ذلك ، يعود هو إلى الأرض .

صاح الدكتور (حجازي) :

— لمَ لمَ تدمر ذلك القرص إذن ؟

هتف العجوز في خنق :

— لقد حاولت .

وعاد صوته ينخفض ، وهو يقول في مرارة :

— صدقني .. لقد حاولت .. استخدمت كل الوسائل

المعروفة ، في ذلك الحين ، وضعت في أفران حرارية رهيبه ،
تبلغ درجة حرارتها ما يربو على عشرة آلاف درجة مئوية ،
وحاولت إذابته في مزيج من أقوى الأحماض المعروفة على وجه
الأرض .. سحقته بضغط رهيب ، بفوق مائتي ضعف للضغط
الجوي ، لكن بلا فائدة ..

سأله الدكتور (حجازي) في خوف :

— أتعني أنه ما من وسيلة لتدميره ؟

هز رأسه نفيًا ، مغمغمًا :

— بحسب علمي ، لا توجد وسيلة معروفة .

ثم استدرك في انفعال :

— ولكنني دفنته بعيدا .. في أعماق أعماق الصحراء ، في

موقع مجهول ، لم أحاول أنا نفسي تحديده ، وأقسم إنني قد

نسيت تمامًا .

غمغم (نور) في سُخط :

— لقد استعاده أحدهم حتمًا .

هتف العجوز في ألم :

— بالتأكيد .. هذه هي الوسيلة الوحيدة ، لعودة (ابن

الشیطان) إلى الأرض .

تنهد (نور) في توثر ، وقال في عصبية واضحة :

— إذن فقد علمت أخيرًا من هو عدوي .. ولكنني

ما زلت أجهل كيف يمكنني القضاء عليه .. أو ما الذي فعله

بابتي !!

انقض الدكتور (عزيز) في مقعده ، وكأنما أصابه مَسٌّ من

الشیطان ، وهتف وهو يمسك كف (نور) في قوة :

— ابتلك !! .. ما الذي فعله بها ؟

أجابه (نور) ، وقد أدهشه انفعاله المبالغ فيه :

— لست أدري ياسيدي .. لقد كانت ترقد في

المستشفى ، مصابة ببعض الرضوض ، وبكسر في أحد

أضلاعها ، ثم انتهت فجأة ثورة جُنونية ، و

قاطعه الدكتور (عزيز) في توثر بالغ :

— وتضاعفت قوتها في شدة ، وبالت أشبه بشيطان

هتف (نور) في توثر :

— نعم .. هذا ما حدث بالفعل .. ما الذي يقنيه ؟

ما الذي يقنيه يا رجل ؟

تراجع الدكتور (عزيز) شاحبًا ، وهتف في مرارة :

— يعني أن ابتلك قد أصبحت تحمل في عروقها دماء غير

بشرى أيها الرائد .. إنها تحمل دماء شيطانيًا ..

٩ - ابتك يا (نور) ..

مسحت (سلوى) دمعته ، تفرقت على وجتها ، وهي
تطلع إلى ابنتها ، الراقدة على سريرها ، في حجرة العناية
المركزة ، غائبة عن الوعي ، وغمغت في حزن ، تسأل رئيس
أقسام الطوارئ :

— أما من وسيلة ؟ .. هل ستخلى عنها هكذا ؟

قلب الرجل كفيه في خيرة ، وغمغم في يأس :

— كم يؤسفني ويحزننى أن أجد نفسى عاجزاً هكذا
ياسيدتى ، وأنا أواجه ما أجهله ، وما لم يرد ذكره في كل كتب
ومراجع الطب .. إننى أقدر الآن خيرة (ألكسندر فلمنج)
أمام تقطيع الجروح في عصره^(*) ، وأشفق على أطباء

(*) سير (ألكسندر فلمنج) : (١٨٨١ - ١٩٥٥ م) ،
بكتريولوجى إسكتلندى ، لاحظ عام (١٩٢٨ م) أن عقنا قد لوث
مزارعه البكتريولوجية ، فأباد الجرثام داخلها ، وأطلق عليه اسم
(البسيلين) ، واقسم مع آخرين جائزة (نوبل) ، بسبب أبحاثه عن
(البسيلين) ، عام ١٩٤٥ م .

القرن العشرين ، الدين وقفوا عاجزين ، أمام وباء
(الإيدز) ، قبل أن يجدوا علاجه .. صدقنى .. إننى أشعر
بآلام لا وصف لها .

هتفت في مرارة :

— لن تفوق آلامى .. إنها ابنتى .

رُبت على كتفها مشفقاً ، ومغمغماً :

— إننى أقدر ذلك .

وفجأة ، تراجع هاتفاً في توثر .

— يا إلهى ! .. لقد عاد رسام المخ يمنحنا تلك الإشارة

الخفيفة .

هتفت في ذعر ، وقد تعلقت عيناها برسام المخ :

— يا إلهى !!

كان الجهاز الإلكتروني يبدو كما لو أصابه مس من
الجنون ، وهو يرسم تلك الخطوط المتعرجة الحادة ، في سرعة
ضخمة ..

رفجأة ، نهضت (نشوى) ..

تماماً كالمرّة السابقة ، نهضت كآلة تبدأ عملها ، بعد طول

توقف ..

ونامًا كالمرّة السابقة أيضًا ، انزعزت الأنايب العلاجية من
جسدها ، وغادرت فراشها في بطن ، ثم اتجهت نحو الباب ،
الذي تم تغيير بابه الزجاجي السميك .
وهتف رئيس الأقسام :
— ابتعدوا .. ابتعدوا عن طريقها .. لا تعترضوا
مسارها .

صرخت (سلوى) في دُعر :
— ولكن الباب الزجاجي .. لو أنها حطمته بقبضتها ،
فستصاب بجروح كالسابق .
هتف رئيس الأقسام :
— إنه مفتوح .

وبالفعل دفعت (نشوى) الباب ، فانفتح في هدوء ،
وغادرت الحجرة في خطوات حازمة ، متجهة نحو مخرج
القسم ، فهتفت (سلوى) :
— أوقفوها .. أرجوكم أوقفوها .
صاح رئيس الأقسام :
— لن يجرؤ أحد على ذلك يا سيدي ، بعد أن رأوا
ما أصاب زميلهم ، الذي حاول ذلك مسبقًا .

هتفت في حدة :
— سأفعل أنا إذن .
واندفعت نحو ابتها ، في محاولة لإيقافها ..
ولكن فجأة ، انقضت صاعقة الرعب ..
لقد هبت عاصفة ساخنة مخيفة ، داخل ممر المستشفى ..
عاصفة كلّفح اللهب ، أطاحت بالجميع إلى الجدران ..
وصرخ رئيس الأقسام في رُعب :
— يا إلهي .. ما الذي يحدث هنا ؟
وتعالت صرخات الجميع في رُعب وقرع ، واتسعت عينا
(سلوى) في هلع ، وهي تهتف :
— ربّاه !! .. ما هذا !!
كانت ابتها الوحيدة ، التي لم يُطخ بها الإعصار ..
وحدها كانت تسير في هدوء ، نحو الحائط ..
وأمام عيون الجميع المذهولة ، انشق الحائط نصفين ..
ومن خلفه بدا مشهد عجيب ..
حجرة مكتب قديمة ، خالية من الأثاث تقريبًا ، فيما عدا
إطارًا صغيرًا ، يزين الجدار المواجه ..
وإلى جوار اللوحة وقف رجل مثشح بالسواد ..

بل شاب يرتدى حُلَّة سهرة سوداء أنيقة ، ورباط عنق
فراشيًا صغيرًا ..

وكان هذا الشاب وسيماً ، جميل الطلعة إلى أقصى حد ..
ولكن مرآه ألقى الرعب في قلوب الجميع ..
صحيح أنه كان يقف هادئاً ، يعقد ساعديه أمام صدره ..
وأنه كان يتسم ..

ولكن عينيه كانتا تبعثان الرعب في القلوب ..
كانتا متقدتين كاللهب ..

وفي هدوء ، اجتازت (نشوى) ذلك الشق في الجدار ..
وصرخت (سلوى) في رُغب هائل :
— كلاً يا (نشوى) .. كلاً ..

ولكن ذلك الأشقر الوسيم الخفيف ، قال في لهجة امرأة ،
وصوت قوي مخيف :

— تعالني ..

وأطاعت (نشوى) ..

وعبرت الشق ..

وفي بطاء ، راح الشق يلتحم ، و (سلوى) تصرخ :

— لا يا (نشوى) .. غودي .. غودي ..



وحدها كانت تسير في هدوء ، نحو الحائط ..
وأمام عيون الجميع المذهولة ، انشق الحائط نصفين ..

ثم التحم الشق ..

وهذات العاصفة ..

لقد انتهى كل شيء ..

ضاعت (نشوى) ..

ضاعت إلى الأبد ..

اتسعت عينا (نور) دُغْرًا ، وهو يتطلع إلى الدكتور
(عزيز) ، هاتفا :

— ما الذى تغيبه يا سيدى ؟ .. ما الذى تغيبه بأن ابتسى
تحمل في عروقها دما شيطانيا ؟

هتف الدكتور (عزيز) في مرارة :

— إننى أغيب كل حرف نطق به يا ولدى .. أغيبه قولاً
وفعلًا .. إن ما أصاب ابتك هو أحد أساليب الشيطان الابن ،
للسيطرة على ضحاياه .. إنه يدفع في عروقهم بعضاً من دمائه ،
فيتحولون بها إلى أتباع له ، ويفقدون كل سيطرة على أنفسهم
تقريباً .

غمغم (نور) في ارتجاع :

— يا إلهى !!

ثم عاوده عناده ، فهتف :

— ولكن من قال إن جسد الشيطان يحوى دماً
كأجسادنا ؟

أجابه العجوز في ضيق :

— لا تخور كلمائى يا ولدى ، ولا تكابر أو تعاند ،
فالوسيلة الوحيدة لمقالة خصمك هذا ، هي أن تكون واقعياً
ومنطقياً ، وإلا فإنه سيزمك حتماً .. لا أحد يعلم كيف يبدو
الشيطان نفسه ، سوى خالقه (عز وجل) ، أما ابنه ، فنحن
نعلم كيف يبدو ، في هيئته الأرضية على الأقل ، ولا تنس أبداً
أنه نصف بشرى ، وأنه يملك بعضاً من صفات البشر ، إلى
جوار صفاته الشيطانية ، وهذا يعنى أن له دماً ، ولكنه ليس
دماً بشرياً خالصاً ، بل دماً يحمل نصف سمات الشياطين .

انهار (نور) معنوياً ، وهو يهتف :

— وكيف ؟ .. كيف يمكن انتزاع هذا الدم من جسدها ؟
تنهد العجوز ، وغمغم في حسم :

— لدى الوسيلة .

هب (نور) من مقعده ، وعاد الأمل يخفق بين ضلوعه ،

وهو يهتف :

— كيف ؟ .. أخبرني بالله عليك .

نهض العجوز من مقعده ، والتقط علبة معدنية من مكتبته ، نفخ الغبار عنها في بضع ، وهو يفهم :

— هل قرأت أساطير مصاصي الدماء القديمة يا ولدي ؟
هتف (نور) في تولر ، بعد أن تبادل نظرة دهشة مع الدكتور (حجازي) ، الذي اكتفى بالصمت طيلة الوقت تقريباً :

— بالطبع يا سيدي .. ولقد كانت لنا موقعة مع مصاص دماء مزيف فيما مضى (*) ، ولكن ما علاقة ذلك ب.....
قاطعه العجوز في هدوء ، وكأنما لا يغييه كثيراً أن يستمع إلى تعقيبه :

— في تلك الأساطير توجد وسائل خاصة ، لمواجهة ومقاومة مصاصي الدماء ، كالشمس والماء الجاري ، والثوم ، ولقد أضاف بعض المتدينين المسيحيين ، مثل (برام ستوكر) ، مؤلف أول قصة عن مصاصي الدماء ، إلى تلك الوسائل الماء المقدس .

(*) راجع قصة (ليلة الرعب) .. المغامرة رقم (٢٢) .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول في تولر :

— سيدي .. إنني لم أدرك بعد علاقة هذا ب.....

مرّة أخرى قاطعه العجوز ، وهو يلتقط من علبة المعدنية شيئاً ما :

— لقد أثبتت دراساتي ، وأبحاثي أن كل هذا مجرد وهم .. فلا وجود لما يسمى بمصاصي الدماء ، وهذا يعني أن كل ما ذكر عنهم ، بما في ذلك وسائل القضاء عليهم ، مجرد هراء ، ولست أغني هنا مرضى (البروفيريا) ، الذين يدون أشبه بمصاصي الدماء بالفعل (*) ، وإنما أغني مصاصي الدماء الذين وردوا في الأساطير ، و.....

في هذه المرّة قاطعه (نور) ، صائحاً :

— سيدي .. ما علاقة هذا بما نحن بصددده ؟ .

(*) البروفيريا : مرض شديد الندرة ، ينشأ من نقص البروفيرين (في تكوين الدم ، ويصبح المصاب به شاحباً ، بارز الأنياب ، شديد الحساسية للشمس ، ويشعر بالارتياح إذا ما أضاف إلى معدته بعض الدماء ، ويقال إن مرضى (البروفيريا) هم السبب في ظهور أسطورة مصاصي الدماء .

فتح الدكتور (عزيز) يده ، فظهرت فيها قنينة صغيرة ،
أشار إليها ، قائلاً :

— لست أدري ما علمية الأمر يا ولدي ، ولكن هذه
المياه ، التي تخرج من بئر (زمزم) في (مكة) ، هي الوسيلة
الوحيدة ، للقضاء على دماء (ابن الشيطان) ، في أجساد
ضحاياه .

اختطف (نور) القنينة ، وهو يتف في لفظة :
— شكراً يا سيدي .. سأحققها على الفور بتلك المياه .

غمغم الرجل في شُحوب :
— المهم أن تفعل في الوقت المناسب يا ولدي .

توقف (نور) ليسأله في توأثر :

— ماذا تعني يا سيدي ؟

سأله الرجل في قلق :

— قل لي أولاً : متى بدأت تلك التوبة مع ابتك ؟

أجابه (نور) في قلق متضاعف :

— لقد أصابها التوبة الأولى مساء أمس .

شُحِب وجه الدكتور (عزيز) ، وهو يقول :

— هذا ما كنت أخشاه .. أسرع إذن يا ولدي ، فلو أنك

لم تحققها بتلك المياه ، قيل الفجر ، فسيفنى هذا أنك ستفقدوها
إلى الأبد .

هتف الدكتور (حجازي) في دُغر :

— ما الذي تعنيه يا سيدي ؟

التفت إليه الدكتور (عزيز) ، وهو يقول في شُحوب :

— لو أشرقت الشمس على الضحية ، التي تحمل دماء

(ابن الشيطان) مرتين ، فسيفنى هذا أن تتحول إلى الأبد إلى

نسخة منه .. إلى نصف شيطان .

هتف (نور) :

— يا إلهي !! لن أسمح بذلك أبداً يا سيدي .. لن أسمح

به .

وقبض على القنينة بقوة ، واندفع نحو الباب ..

ولكن فجأة انفتح الباب في عنف ، وبدأ على عتبة مخلوق

خرافي مخيف ..

مخلوق هو نصف بشري ، ونصف نمر ..

رأس بشري وذراعا وجذعه ، وجسده جسد نمر ..

وزار المخلوق الأسطوري في قوة ، وهتف الدكتور

(عزيز) ، وهو يتراجع مع الدكتور (حجازي) في رُعب :

— إنه أحد حيواناته ولا شك .. إن ذلك الشيطان الصغير

لن يسمح لك بهزيمته .. لن يسمح بها أبداً ..

١٠ - صنيعه الشيطان ..

كان المخلوق مخيفاً حقاً ..
حتى وجهه شبه البشرى ، كان بشعاً ، يحوى عينين
ناريتين ، وأنياباً حادة بارزة ..
ولقد كان يتطلع إلى (نور) ..
كان من الواضح أنه قد جاء من أجله ..
من أجله وخطه ..
ولكن (نور) لم يشعر بالخوف ..
لقد أدرك من غلوه ..
وأدرك هدفه ..
ولن يسمح لـ (ابن الشيطان) بالانتصار عليه أبداً ..
وفي حزم ، أشار (نور) بكفه ، قائلاً لرفيقه :
- ابتعدا .. إنها معركة بينى وبينه .
صاح الدكتور (حجازى) فى رعب :
- احترس يا (نور) .

أجابه (نور) فى حزم وصلابة :

- اطمئن يا سيدى .

وفي هدوء ، امتدت يد (نور) لتلقط خنجراً أثرياً
خاصاً ، من فوق مكتب الدكتور (عزيز) ، ثم وضع قبضة
اليده الصغيرة فى جيبه بكل عناية ، ووقف يواجه ذلك المخلوق
المخيف ..

وأدرك نصف الثمر أن هذا البشرى يتحدثاه ، فزار فى
عناد ..

ثم انقض ..

انقض بنصفه الأدمى والوحش على خصمه ..

على (نور) ..

اندفعت (سلوى) نحو ذلك الجدار ، الذى اختفت خلفه
ابتها ، وراحت تدقه بقبضتها فى قلع ، وهى تصرخ :
- (نشوى) .. أين أنت ؟ .. أين أنت ؟
كانت تضرب الحائط ، وتصرخ ، وتلقت حولها فى
انهار ..
كانت مصابة بانهار عصبى عيف ..

وكذلك رئيس الأقسام ومعاونوه ..

لقد وقف الجميع في دُهور ، يُحدّقون في الحائط نفسه ،
قبل أن ينتزع رئيس الأقسام نفسه من دُهوره ، ويهتف :
— أسرعوا .. فليفحص أحدكم قسم الجراحات ، خلف
هذا الجدار ، ولتصدر أوامر بمنع الخروج من المستشفى ، تحت
آية ظروف ، وليبلغ أحدكم القسم الهندسي ، ليرسلوا أسرع
مهندسيهم ؛ لفحص ذلك الجدار .

ثم اندفع نحو (سلوى) ، هاتفا :

— كفى يا سيدي .. كفى .

راحت تقاومه في شراسة ، وهي تصرخ :

— ابنتي .. أعيدوا إليّ ابنتي .

صاح في حزم :

— كفى .. إنك تحطمين أعصابك هكذا .

صرخت في مزيد من الهياج :

— أعيدوا إليّ ابنتي .

وهنا هوى على وجهها بصفعة قويّة ، ارتج لها رأسها ،
وجعلتها تحدّق في وجهه بدهشة عارمة ، قبل أن تهتف غاضبة :

— كيف تجرؤ

قاطعها في حزم :

— لقد نجوت من انيار عصبي ، وهذا ما يعني .

تطلّعت إليه في دهشة ، ثم نقلت بصرها إلى الجدار ،
وانفجرت باكية ، هاتفة :

— أريد ابنتي .. أرجوكم .

رَبَّت على كتفها ، مغمّما في خيرة :

— سنبذل أقصى جهدنا يا سيدي لاستعادتها .. صدّقيني .

تشبّثت به ، وهي تهتف :

— حاول أن تحضر زوجي إذن .. إنه الأمل الوحيد

الآن .. الأمل الوحيد ..

كان (نور) يشبه تماما أبطال الأساطير ، وهو ينقض على
ذلك الحيوان الجرافتي ، نصف الآدمي ، ونصف الوحشي ..
ولقد اختلطت صرخته القتالية الصارمة ، بزئير ذلك
المخلوق ، قبل أن يلتحما معا في مشهد مخيف ..

وراح المخلوق الوحشي يُطلق صرخات مخيفة ، وهو يحاول
اقتصاص عُنق (نور) بأسنانه ، وتمزيق جسده بمخالبه ..
ولكن (نور) كان ثائرا ..

كان غاضبًا حقًا ..

و (نور) مخلوق هادئ جدًا ، عندما يفكر ..

شديد العصبية إزاء الغموض ..

شديد العنف والقسوة عند الغضب ..

هكذا هو دومًا ..

خليط من المشاعر والصفات المتناقضة ..

وهكذا هو دومًا ..

عملاق عندما يثور ..

ولو أن هذا المخلوق الخرافي متوحش ، ف (نور) في هذه

اللحظة كان يستحق لقب (قاهر الوحوش) ..

ربما لأنه لم يكن يقاتل من أجل نفسه ..

بل من أجل ابنته ..

كان يعلم أن الأمل الوحيد ، لنجاة ابنته من مصيرها

الأسود ، هو أن يصل إليها ، وأن يحققها بتلك المياه ، التي تحويها

القارورة الصغيرة ، التي تستقر في جيبه ، قبل الفجر ..

وفي إصرار وعناد شديدين ، دفع رأس المخلوق بساعده

الأيسر ، ثم انشأ في رشاقة مذهشة ، أكسبه إيّاها تدريبات

إدارة المختبرات العلمية الشاقة ، واعتلى ظهر غريمه ..

ويده اليمنى ، التي تحمل الخنجر ، إنزال على عنق المخلوق

الوحشي ..

وغاب الخنجر حتى مقبضه في عنق المخلوق ، الذي أطلق

صرخات ألم وغضب وحشية ..

وارتفع خنجر (نور) ، وهوى .. وهوى .. وهوى ..

ولدهشة الدكتور (حجازي) ، والدكتور (عزيز) ،

راح المخلوق الوحشي ينزف دمًا أخضر اللون ..

دمًا شديد الكثافة ..

ثم أطلق خوارًا كالثور ، ودارت عيناه في محجريهما ،

وهوى ..

لقد انتصر ابن آدم ..

انتصر (نور) في معركة مع نصف آدمي متوحش ..

وبقيت معركة الكبرى ..

معركة مع (ابن الشيطان) ..

كان الدُّهُول يملأ كل خلجة من خلجات وجه رئيس أقسام

الطوارئ ، وهو يهتف :

— مستحيل !! .. لقد رأينا جميعًا هذا المشهد الخرافي ..

رأيناه بما لا يدع مجالًا للشك ، ولكن

ارتجف قلب (سلوى) ، وهى تسأله :

— ولكن ماذا ؟

قلب كفيه فى خيرة ، وهو يقول :

— ولكن كل الفحوص تؤكد أنه ما من شىء غير طبيعى ..

أطباء قسم الجراحة كانوا يجرون إحدى عمليات الليزر الميكروسكوبية عندما رأينا ذلك ، وهم يؤكدون أنه لم يحدث لديهم أى شىء غير طبيعى ، ورجال القسم الهندسى يؤكدون أن ذلك الجدار طبيعى تماما ، بل إنه من المستحيل أن يتشقق ، أيا كان السبب ، نظرا لطبيعة بنائه ، وأنه حتى لو حدث هذا ، فهو لن يلتحم بهذه الدقة قط .

شعب وجهها ، وانتقع فى شدة ، وهى تقول :

— ما الذى يعنيه هذا ؟

هز كفيه فى خيرة ، مغمغما :

— إنه لا يعنى أى تفسير علمى حتما .

وتردد لحظة ، قبل أن يستدرك :

— ولكنه

قالتها وصمت ، وكأنما وجد أنه ليس من اللائق أن يعم

عبارته ، فهتفت (سلوى) ، تستحثه على المواصلة :



واعلى ظهر غريمه .. ويده اليمنى ، التى تحمل
الخنجر ، انبها على عنق المخلوق الوحشى ..

— ولكنه ماذا ؟

تردّد مرّة أخرى ، قبل أن يغمغم في الحفوت ، وفي لهجة
يطلب عليها طابع الحياة :

— كنت أقصد أنه يذكرني بحكايات جدّي الخرافيّة .

غمغمت في دهشة :

— حكايات جدّتك ؟

تردّد للمرّة الثالثة ، ثم نعم :

— قد يُدهشك هذا ، أو يُضحكك ، أو يسدو لك
سخيفاً ، إلا أن كل ما حدث هنا يذكرني بحكايات الجنّ
القديمة .

هتفت في دهشة بالغة :

— الجنّ ؟

أجابها في جدّة مباغة :

— نعم .. الجنّ .

حدقت في وجهه لحظات ، في مزيج من الدهشة والخيرة ،
وهي تساءل : أينح في مثل هذا الموقف ، أم أنه يغني حقاً
ما يقول .. ؟

ولقد جاءها الجواب من بين شفتيه ، وهو يستطرد متوتراً :

— كل ما حدث يؤكد هذا .. العاصفة الساخنة ،
وانشقاق الحائط ، وذلك الأشقر الوسيم الخفيف ، الذي
بداخلها .. ألا يذكرك كل هذا بحكايات الجنّ .
هتفت في جدّة مستكرة :

— هل تصدّق ما تقول ؟

لوح بذراعيه غاضباً ، وهو يهتف :

— ولم لا ؟! .. الجنّ مخلوقات مثلنا ، ولكنها من النار ،
وليست من الطين ، وهذا يبرّر تلك الرياح الساخنة ، ثم إنه من
المحتمل أن هذا الأشقر جنّي ، أراد الزواج من ابنتك ، أو
قاطعه صارخة :

— الزواج منها ؟! .. هل جئت ؟

عقد حاجبيه في غضب ، وهو يقول :

— لماذا ؟ .. هل أنطق بما لم يؤيده العلماء ، أو رجال
الدين ؟! .. لقد ذكر الجنّ في الكتب السماوية ، التي أيدت
وجودهم ، ولقد حرّم زواجهم من البشر ، فهل تتصوّر أن
هذا التحريم قد جاء ، دون أن يكون هناك زواج بينهم
بالفعل ؟! ..

كلّاً يا سيّدي ، مادام هذا الزواج قد حرّم ، فهذا يغني أنه
ممكّن .

صرخت في ألم :

— ومع هذا أرفض منطقك .

صاح مُخْتَفًا :

— لا يوجد سواه .

هتفت في عناد :

— ليس هذا مبررًا لنوم من به .

جاءها صوت (نور) ، وهو يقول في ألم وحزن :

— ولكنه يحمل بعض الحقيقة يا (سلوى) .

التفت إليه في لهفة ، وهي تهتف :

— (نور) ؟ .. يا إلهي !! (نور) ؟

وفي تلقائية ، ألقت نفسها بين ذراعيه ، وراحت تبكي ،

وتتشب في حرارة ، وهو يربّت على ظهرها في رفق ، ورئيس

الأقسام يحدّق فيهما بدهشة ، قبل أن يهتف :

— أنت زوجها ؟ .. أنت ذلك الرائد ، من المخبرات

العلمية ؟

أوماً (نور) برأسه ، قائلاً :

— هو أنا .

بكت (سلوى) في حرارة ، وهي تهتف :

— ابتنا يا (نور) .. لقد اختفت داخل الحائط .

قال في مرارة :

— لقد علمت كل شيء يا (سلوى) .. من ممرضى

القسم .

ثم أمسك كنفها ، ودفعها بعيدًا ، بطول ذراعيه ، وهو

يسألها :

— هل بدا لك ذلك المكان ، الذي ذهب إليه بها مألوفًا ؟

ردّدت في خيرة :

— مألوفًا ؟ .. أقول لك إنه قد شقّ الحائط .. و

قاطعها في حزم :

— هل بدا المكان مألوفًا يا (سلوى) ؟

اغرّز رقت عيناها بالدموع ، وهي تغمغم في خيرة :

— لست أدري يا (نور) .. لست أدري .. لقد كان

مجرد حجرة خالية ، لا تحوى سوى لوحة صغيرة ، ذات إطار

قديم ، و

بترت عبارتها بغتة ، وهتف هو ، وقد أدركا معًا طبيعة

المكان :

— حجرة مكتب جلدى .

ثم جلد بها من معصمها ، هاتفا :

— لقد علمت الآن أين أخذها ذلك الشيطان الوغد الصغير .. إلى منزل جدى القديم وسط المزارع .. إلى حجرة المكتب هناك ، حيث ذاق هزيمته السابقة ..

هتفت وهى تبعه لاهثة :

— من هو هذا يا (نور) ؟ .. ولماذا أخذ ابتسا ؟ ..

وكيف ؟

صاح بها متوترًا ، وهو يجذبها إلى الخارج :

— سأخبرك فيما بعد .. عندما يحين الوقت المناسب ..

هيا قبل أن نفقد ابتسا ..

هتفت لارتياح :

— لفقدتها ؟

اختلط هتافها بقصف الرعد ، وذوى البرق ، وانهمار

المطر ، مما منح الجو كله مظهرًا مخيفًا رهيبًا ..

ولكنها تبعت زوجها ..

تبعته إلى حيث الأمل ..

إلى حيث الأمل الوحيد ..

١١ — المواجهة ..

التهبت عينا (ابن الشيطان) بيريق جهنمى ، أشبه بالنيران المتقدة ، وهو يقف فى شرفة منزل جد (نور) الريفى ، وقال فى شراسة :

— إنه فى طريقه إلى هنا ..

مد (صفوت) بصره إلى الأمام ، وودّ لو أنه سأل سيده : كيف يمكنه أن يصر فى الظلام ، إلا أنه أثر الصمت ، وقد تذكر أنه ليس بشريًا ، واكتفى بأن غمغم :

— متى سيصل يا سيدي ؟

أجابه الشيطان الصغير فى لهفة :

— بعد عشر دقائق على الأكثر ..

ثم ارتسمت على شفاه ابتسامه وحشية ، وهو يستطرد :

— لقد أدرك الآن من يقاتل ، وأين سيكون الصراع

الأخير .. إنه يعرف ساحة المعركة ، ويندفع إليه غير آبه .. كم

يشبه جدّه !

التفت إلى حجرة المكتب العريقة الخالية ، واستعاد ذهنه
مشهداً قديماً ..

مشهد جد (نور) ، وهو يقف في ركن الحجرة ، هاتفاً :
— يا إلهي !! لقد أدركت كيف .. لقد أدركت الآن
كيف يمكنني القضاء عليك ، وإجبارك على العودة إلى موطن
بنى جنسك .

ما زالت كلماته هو تدوى في رأسه ، عندما أجاب ذلك
بضحكة ساخرة ، قائلاً :

— مُحال أيها البشري .. لن يمكنك تصوّر أسلوب
القضاء عليّ أبداً .

هتف الجذ في صرامة :

— بل لقد علمته .. لقد علمته .

ثم التقط تلك الأسطوانة ، و

نفض عن عقله تلك الذكرى ، التي أورثته مزيداً من
الغضب والثورة ، فهتف في سخط :

— سيدفع آخر أحفاد (أوزيريس) الثمن .

سرت فتعريزة باردة في جسد (صفوت) ، ثم أشار إلى
مُسَدّس ليزرّي ، يقبع داخل جيبه ، متمتماً في تردّد :

— سيّدى .. لست أحب أن أكرّر قولاً ، ولكن لو أنك
ترغب في أن أقتل ذلك الرائد ، فأنا

قاطعه (ابن الشيطان) في غضب :

— كلاً ..

انفص (صفوت) ، وغمغم :

— أردت فقط أن أعرض الأمر .

رفع الشيطان الصغير يده في وجه (صفوت) ، ولوّح

بسيّاته ، قائلاً في صرامة :

— قلت لك إنني أحتفظ بك ، من أجل مهمة واحدة ..

مهمة محدودة ، لا يحق لك تجاوزها .

ثم اعتدل ، مستطرذاً في حزم :

— ولقد حان الوقت لتعلم طبيعة مهمتك .

غمغم (صفوت) في توّثر :

— أنا رهن إشارتك يا سيّدى .

اثققت عينا مبعوث الجحيم مرّة أخرى ، وهو يقول :

— ستعلم كل شيء الآن .. المهم هو ألا تتدخل في صراعي

مع حفيد (أوزيريس) هذا أبداً ، مهما كانت الأسباب ..

هل تفهم ؟ .. مهما كانت الأسباب .

« شيطان ؟! » ..

أقلت (سلوى) تلك الكلمة في رُعب هائل ، وبكلمات
وحروف حمل ارتجافها هذا المعنى إلى أذنى (نور) في وضوح ،
وهو ينطلق بسيارته الصاروخية ، نحو منزل جدّه الريفى ،
فعقد حاجبيه في جدّة ، وهو يقول متوتراً :

— ابنه يا (سلوى) .. (ابن الشيطان) ، وليس الشيطان
نفسه :

شُحِب وجهها في شدّة ، وهى تهتف :

— (نور) .. إنك تثير فى نفسى فرغاً شديداً .. حديثك
هذا يغنى أن ابنتا الآن بين يدي نصف شيطان .
ثم هزّت رأسها فى قوّة ، مستطرّدة فى جدّة :
— وأنا أرفض تصديق هذا الأمر
قال فى صرامة :

— رفضك أو قبولك لن يغيّر من الأمر شيئاً
يا (سلوى) .. صحيح أن كل هذا لا يحوى حقيقة علميّة
واحدة ، مدوّنة فى أى مرجع علمى معتمد ، إلّا أنه الواقع ..
وما زالت عبارة الدكتور (عزيز) تدوى فى أذنى : « لكى
تنتصر على هذا الشرّ ، فلا بدّ أن تواجهه بمنطقية وواقعية ،
مهما كان متعارضاً مع آرائك ، وإلا فإنه سينتصر .. سينتصر
حتماً » ..

سَرت فى جسدها قشعريرة خوف ، وهى تفهم ، وقد
اغرورت عينها بدموع المرارة واليأس :

— ماذا ستفعل إذن يا (نور) ؟ .. ماذا ؟
أجابها فى حزم :

— سنواجهه يا (سلوى) .. سنواجهه الأمر بلا
تقاعس ..

صاحت فى ألم :

— كيف يا (نور) ؟ .. كيف ؟ .. إنك تقول إنك ما زلت
تجهل نقطة ضعفه ، فكيف تواجه خصماً ، لا قبل لك بهزيمة ؟
انعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يقول :

— لم أقل إننى أجهل نقطة ضعفه .. قلت فقط إن الدكتور
(عزيز) ما زال يجهل نقطة ضعفه .

التفت إليه فى دهشة ، وهتفت :

— أتعنى أن أكبر خبراء ما فوق الطبيعيات يجهل نقطة
ضعفه ، فى حين تعلمها أنت ؟

أوما برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

— هذا صحيح .. وأنا أيضاً كنت أجهل نقطة ضعفه ،
حتى رأيت بقع الطمى ، وهى ترتطم بالزجاج .

أدارت رأسها لتطلع إلى زجاج السيارة ، الذي تناثرت
فوقه بقع الطمى ، ثم عادت تلتفت إليه ، متسائلة :
— لست أفهم شيئاً .

ابتسم ابتسامة شاحبة ، وهو ينحرف في طريق جانبي ،
يقود إلى المنزل الريفى مباشرة ، وقال :
— ماذا يحدث لك ، لو أننى ألقيت في وجهك قطعة كبيرة
من الطمى الجاف ؟

عقدت حاجبها ، وهي تقول في حدة :
— أظن أن ذلك سيؤلمنى ويسبب لى الكثير من الضرر .
هتف فى حماس :
— هذا هو الحل .

غمغمت فى دهشة وخيرة :
— أى خل ؟

أوقف سيارته أمام المنزل الريفى ، وهو يقول فى حزم :
— فيما بعد يا عزيزتى .. فيما بعد .. أما الآن فعلياً أن
تتحرك بأقصى سرعة لإنقاذ ابنتنا .

وغادر السيارة ، وهو يشير إلى الأفق ، مستطرداً :
— قبل الفجر ..

تطلع (ابن الشيطان) إلى سيارة (نور) ، وهي تتوقف
أمام المنزل الريفى ، واتقدت عيناه الناريّتان الفعّالاً ، وهو
يغمغم :

— لقد وصل .
ثم التفت فى هدوء ، وتطلع إلى (نشوى) ، التى وقفت
خلفه صامتة ، شاردة البصر ، تبدو كالفاليتة عن الوعي ،
واستطرد فى لهجة أميرة :

— استعدى .
غمغمت فى آلية :
— مُستعدة .

ابتسم فى ثقة ، وهو يقول فى حزم :
— أتعلمين من ستواجهين ؟
أجابته بنفس الشرود والآلية :
— أبى .

هتف فى انفعال :
— ماذا ستفعلين به ؟
أجابت على الفور ، وبلهجة تخلو من أية انفعالات :
— سأقتله .

كان يسيطر عليها سيطرة تامة ..

ربما لأن دماءه تسرى في عروقها ..

دماؤه الشيطانية ..

ولقد أثلج قولها صدره ، فاعتدل ، واشتعلت عيناه بلهب

الانتقام ، وهو يقول في حزم :

— سيكون هذا أفضل انتقام من حفيد (أوزيريس) .

وانتقل اشتعال عينيه إلى صوته ، وهو يستطرد :

— سيموت بيد ابنته .. دم (أوزيريس) سيقتل بعضه

البعض .

وفي كل أركان المنزل ، ترددت ضحكته الشيطانية ..

ضحكة مبعوث الجحيم ..

ارتجف جسد (سلوى) رعبًا ، والتصقت بزوجها ،

وهي ترتعش في شدة ، وتهتف :

— ما هذا ؟ .. ما هذا يا (نور) ؟

ربت على كفها مطمئنًا ، وهو يقول :

— لا شيء يا عزيزتي .. لعله صوت الرياح

هتفت في رعب :

— كلاً يا (نور) .. إنها ضحكة .. لقد سمعتها في وضوح

غمغم في لهجة ، لم تنجح حتى في إقناعه هو :

— ربما كان البرق ، أو المطر ، أو

قاطعته في حدة :

— أخبرني يا (نور) .. ما هذا ؟

تنهد في عمق ، وأجاب :

— إنها ضحكته .

ازداد شحوبها وارتجافها ، وهي تهتف في ارتياح :

— ضحكة (ابن الشيطان) ؟ ..

ارتجفت في رعب ، وهي تهتف :

— يا إلهي !!

قال في حزم :

— لقد أتينا إلى هنا ، ونحن نعلم بوجوده ، ونستعد

لمواجهته يا (سلوى) .. أليس كذلك ؟

هتفت في خوف :

— ولكن يا (نور)

أضاف في صرامة :

— من أجل ابنتنا .

كان ذكر ابتها يكفى ، لأن تنزع من نفسها كل الخوف ،
وتقول فى صرامة ، وبلهجة حاسمة حازمة :

— سنواجهه يا (نور) .. سنواجهه من أجل ابتنا ، مهما
كان الثمن .

انطلقت إثر كلماتها ضحكة شيطانية أخرى ، تجمّدت لها
الدماء فى عروقها ، ثم أصيبت كل أنوار المنزل دفعة واحدة ،
فانتفضت فى قوة ، وشهقت فى دُغر ، وراح جسدها يرتعد بين
ذراعى (نور) فى قوة ، وهى تغمغم :

— هل جاء؟ .. هل جاء يا (نور) ؟
شعرت بأصابعه تضغط ذراعها فى قوة ، وبدت لها كلماته
حادّة حاسمة ، وهو يقول فى حزم :

— نعم يا (سلوى) .. لقد جاء .
رفعت عينيها إليه ، ورأته يتطلّع إلى نقطة ما خلف ظهرها ،
فالتفت فى حركة غريزية ، وتطلّعت إلى حيث ينظر ..

وارتجفت فى رُعب ..
لقد رأته يقف هناك ..
رأت (ابن الشيطان) ..

مضى ما يقرب من دقيقتين كاملتين ، و (نور) و (سلوى)

يتبادلان النظرات ، مع (ابن الشيطان) ، و (سلوى) ترتجف فى
رُعب هائل ، إلى أن قال (نور) فى حزم :

— هاتين أولاء نلتقى لأول مرة .
أجابه الشيطان الصغير فى لهجة مخيفة :

— كلاً .. ليست أول مرة أبها الرائد .. لقد التقينا فيما
مضى .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى جدّة :

— متى ؟
ابتسم (ابن الشيطان) فى سخرية ، وهو يقول :

— لن تذكر أبداً متى ؛ لأنك مثل بنى جنك .. قصير
العمر ، كما أنكم لم تتوصلوا بعد إلى حكمة تناسخ الأرواح .

غمغم (نور) فى دهشة :

— التناسخ ؟
هتف الشيطان الابن :

— نعم .. لقد التقينا أنا وأنت ، فى حياة سابقة لك ، وكان
ذلك منذ خمسين قرناً من زمنكم .

غمغمت (سلوى) فى ذهول :

— منذ خمسة آلاف عام ؟

لوح (مبعوث المحيم) بذراعه ، هاتفا :

— نعم .. كان زوجك ، في ذلك الحين ، قائدا عسكريا ،
من رجال ملككم المصري (اخناتون) ، ولقد تصدى لي ،
وأنا أحمل شخصية كاهن من كهنة (آمون) .

وانقذت عيناه شرزا ، وهو يستطرد :

— ولقد التقينا مرة أخرى ، في (روسيا) ، في بدايات

القرن العشرين .

غمغم (نور) في سخرية :

— وفي أية شخصية كنت أنت ؟ .. في هيئة ذب قطبي ؟

هتف ابن الشيطان :

— بل في هيئة الرجل ، الذي مازالت كتب التاريخ تحمل

اسمه حتى الآن ، وتحدثت عن معجزاته وفجوره .

والتهبت عيناه انفعالا ، وهو يهتف :

— كنت (راسبوتين) (*) .

(*) (جريجوري يفيموفيتش راسبوتين) (١٨٧٢ - ١٩١٦) :

راهب روسي ، سيطر برغم جهله على بلاط قيصر (روسيا) ، ولست

إليه قوى زو حانية عجيبة ، بعد نجاحه في شفاء ولي العهد ، ولقد عُرف

بكثرة شروره ومجونه في ذلك العهد .

اتسعت عيون (نور) و (سلوى) ، وهتف الأول :

— يا إلهي !! .. إذن فهو أنت .

صاح الشيطان الابن في غضب :

— نعم .. لقد التقينا عشرات المرات ، في هينات وثياب

مختلفة ، وفي كل مرة كنت أنت تتصر ، أما في هذه المرة

فمُحال .

صاح (نور) في صرامة :

— من قال مُحال ؟ .. لقد آتيت إلى هنا ، وأنا أعلم كيف

أهزمتك أيها البهيم .

أطلق الشيطان الابن ضحكة ساخرة ، وقال :

— هذا لو أنك واجهتني أنا هذه المرة .

ثم التفت هاتفا :

— ستقاتل معاونتني .

شهقت (سلوى) في لوعة وذعر ، عندما برزت ابتها من

خلفه ، وهي تحمل سيفًا ضخما ، وعيناها تبرقان في وحشية

وشراسة ، لم تكونا أبدا من صفاتها ..

وغمغم (نور) في لوعة :

— (نشوى) ؟ .. يا إلهي !

انتزع (ابن الشيطان) من الجدار سيقاً مماثلاً ، ألقاه إلى
(نور) ، الذى التقطه على نحو غريزى ، وهو يسمع
(مبعوث الجحيم) يقول :

— إنها معركة لا تعادل فيها أيها الرائد .. إما أن تقتلها ، أو
تقتلك هى ، وفى الحالتين أربح أنا ، وتخسر أنت .
ثم التفت إلى (نشوى) ، قائلاً فى حزم :
— اقتليه .

وفى شراسة ، هبطت (نشوى) فى درجات السلم ،
متجهة نحو أبيها ، وقد شهرت سيفها فى مواجهته ..
وبكى قلب (نور) بين ضلوعه ..
كان عليه هذه المرة أن يواجه أحب الناس إليه ..
ابنته ..

[انتهى الجزء الثانى ، ويليه الجزء الثالث]

[الصراع الجهنمى]

المؤلف



د. نيل فاروق

مبعوث الجحيم

● هل سيظل (ابن الشيطان) منتصرا، في الجولة

الثانية؟

● كيف يواجه (نور) خصمه، دون فريقه، ودون

أن يعلم حتى طبيعته؟

● ثرى كيف ينتهى الصراع؟ ومن يربح المعركة،

(نور) أم (مبعوث الجحيم)؟

● اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل مع (نور)، من

أجل الخير.

